الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع

مطبوعة بيداغوجية

مقياس مدخل إلى علم الاجتماع

مستوى: السنة الأولى ل.م. د جذع مشترك علوم إجتماعية

إعداد: د. طهراوي ليندة

السنة الجامعية: 2024/2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع والديمغرافيا

مستخرج من محضر اللجنة العلمية للقسم

بناءً على تقارير الخبرة الإيجابية وافقت اللجنة العلمية للقسم في جلستها المنعقدة يوم: **02 جويلية 2024** على تبني مطبوعة الأستاذ: **طهراوي ليندة** الموسومة بـ: "**مدخل الي علم الاجتماع**" مطبوعة موجهة لطلبة السنة-1- ل.م.د جذع مشترك تخصص علوم الاجتماعية للسنة الجامعية: **2024/2023**.

سلم هذا المستخرج بطلب من المعنية لاستعماله في حدود ما يسمح به القانون.

الجزائر في: 2024/12/12

رئيس اللجنة العلمية

د. حرايرية عتيقة

رئيسة اللجنة العلمية لقسم علم الاجتماع والديمغرافية

الجمهوريـــــــة الجزائريـــــة الديمقـــراطـــية الشعـبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research

جـــــامعة الجزائـــــر 2
أبو القاسم سعـــد اللـــه
كـلية العلوم الاجتماعية
المجلس العلمي للكليـــة

Algiers University2
Abou EL Kacem Saadallah
Social Sciences College
Scientific Council of the Faculty

مستخرجٌ من محضرِ اجتماعِ المجلسِ العلميِّ للكليةِ

بناءً على تقاريرِ الخبرة الإيجابيّة وَافقَ المجلسُ العلميُّ للكليةِ بجلسته المنعقدة بتاريخ 2024 /07/03 على مطبوعة بيداغوجية للأستاذ(ة): **ليندة طهراوي** ،موسومة ب : "مدخل إلى علم الاجتماع" موجّهة لطلبة سنة أولى ل.م.د جذع مشترك –علوم اجتماعية، للسنة الجامعيّة : 2023-2024.

سُلِّم هذا المستخرجُ بطلبٍ من المعنيّ (ة) لاستخدامه فيما يسمحُ به القانونُ.

رئيسُ المجلسُ العلميُّ

العميدُ

فهرس المحتويات

المحور الأول: ماهية علم الاجتماع	الصفحة
الدرس الأول: التعريف بعلم الإجتماع	04
أولا: تعريف علم الاجتماع	04
ثانيا: موضوع علم الاجتماع:	05
ثالثا: علم الاجتماع والمنهج العلمي.	07
رابعا: علاقة علم الاجتماع ببعض العلوم الأخرى	08
المحور الثاني: تاريخ نشأة علم الاجتماع من الفكر الاجتماعي إلى علم الاجتماع	14
الدرس الأول: الجذور التاريخية للتفكير الاجتماعي	14
أولا: المرحلة الأولى/ التفكير الاجتماعي القديم	14
ثانيا: المرحلة الثانية/ المرحلة الفلسفية	16
ثالثا: المرحلة الثالثة / النشأة والاستقلالية العلمية لعلم الاجتماع	21
المحور الثالث: الرواد المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع	23
الدرس الأول : المؤسس والرائد عبد الرحمن ابن خلدون	23
الدرس الثاني : أوغيست كونت	32
الدرس الثالث: إميل دوركايم	38
الدرس الرابع: كارل ماركس	47
الدرس الخامس: ماكس فيبر	52
المحو الرابع: المداخل النظرية الكبرى	59
أولا: المدخل الخلدوني (الإسلامي).	59
ثانيا: المدخل الوضعي	62
ثالثا: المدخل الماركسي	57
المحور الخامس :المحور الرابع: مفاهيم أساسية في علم الاجتماع	70
أولا: المجتمع	70
ثانيا:الجماعة الاجتماعية.	70
ثالثا: العمليات الاجتماعية.	70

رابعا:الفرد والشخصية.	72
خامسا: الفعل الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي	73
سادسا: النظم والأنساق والسمات والرموز.	73
سابعا: التغير الاجتماعي والتطور والنمو.	75
ثامنا: المركز والدور.	76

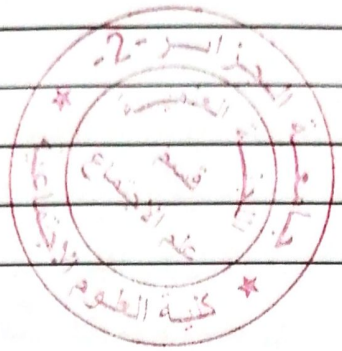

تمهيد:

إن الحديث عن أسس العلم يفترض تمييزه عن غيره من الميادين المعرفية، وفي سبيل الوصول لذلك نعرض أهم الشروط التي يجب توفرها في العلوم لكي يستقل العلم بذاته ويكوّن مجالاً خاصا به، وعموماً تنقسم المعرفة الإنسانية إلى ثلاثة أقسام هي: المعرفة الحسية، والمعرفة الفلسفية ثم المعرفة العلمية، يقصد بالأولى تلك المعرفة التي تقتصر على مجرد الملاحظة الحسية البسيطة للظواهر باعتماد الحواس الطبيعية للإنسان، وتتوفر هذه المعرفة لدى عامة الناس، أما الثانية فهي تلك المعرفة التي يتم إنتاجها عن طريق التأمل الفلسفي العقلي في القضايا والظواهر وهي غالبا ما تستند إلى المنطق وتتسم بالتجريد، وتميز المفكرين والفلاسفة.

أما المعرفة العلمية فهي تقوم على مناهج دقيقة وموضوعية وتوظف الأسلوب الاستقرائي أو الاستدلالي، فالإستقراء يعتمد على الانتقال من الخاص إلى العام، أي بمعنى إتباع خطوات المنهج التجريبي انطلاقا من الملاحظة العلمية ثم طرح الفروض، واختبارها وتحليلها من أجل التأكد من صحتها وبطلانها وفق تقنيات علمية دقيقة، للوصول إلى قواعد عامة تحكم الظواهر والسلوك الانساني. أما الأسلوب الاستدلالي فيعتمد على حقائق كلية موجودة ويحاول التأكد من صحتها عن طريق التحليل والاستنتاج، وقد حدد العلماء للعلم المستقل ثلاثة شروط أساسية هي:

- **موضوع الدراسة:** وجود مجموعة من الظواهر يتخذها العلم مجالا للدراسة والبحث.
- **المنهج العلمي:** خضوع هذه الظواهر للمنهج العلمي الموحد والمتبع في كل العلوم.
- **القانون العلمي أو النظرية:** إمكانية تعميم النتائج والوصول لطائفة من القوانين والنظريات الخاصة بهذا العلم.

وبالنظر إلى علم الاجتماع فقد اكتملت فيه هذه الشروط مع اسهامات الرواد المؤسسين الأوائل وخاصة مساهمة دوركايم، بتحريره لقواعد المنهج في علم الاجتماع، وتظهر بذلك معالم علم الاجتماع جلية كعلم مستقل بذاته، وهنا نبين أهم التعريفات التي قدمها العلماء.

أولا: تعريف علم الاجتماع:

يختلف علماء الاجتماع في ضبط تعريف موحد بينهم لعلم الاجتماع، غير أنهم يتفقون على مبدأ أساسي في تعريفاتهم وهو أن هذا العلم يهتم بالمجتمع بكل مكوناته، فنجد من يعتبره "مجموع الدراسات التي تهتم بالنظم والوظائف التي يؤديها المجتمع، والمتابعة العلمية للأفعال الاجتماعية، فالبحث الاجتماعي يهتم بالإجابة على سؤالين هما: كيف يتواجد النظام الاجتماعي؟ وكيف يتغير؟"[1].

ويعرفه جيمس فاندر زاندان" بأنه علم يدرس التفاعل الإنساني الذي يتجلى في التأثير المتبادل الذي يمارسه الأفراد في علاقاتهم، من حيث التأثير في الاتجاهات والأفعال والمشاعر، فهو يهتم بدراسة الانسان بوصفه كائن اجتماعي يمارس نشاطاً

[1]- José، Mariette، **introduction a la sociologie**،le manuscrit،Ed:paris، 2005، p 20.

متعدد الأوجه ويدخل مع الآخرين في علاقات متعددة، إذا يهتم علماء الاجتماع بالطرق التي يكون بها الأفراد علاقاتهم والتي تنمو وتتطور من خلالها أيضا أشكال الروابط الاجتماعية المختلفة، والمحافظة على استمرار هذه العلاقات والروابط أو تغييرها وحلها[1].

ويعرفه ج رايت بأنه علم للمجتمع على اعتباره دراسة للعلاقات القائمة في جماعة معينة، بحيث يكشف عن المعطيات المرتبطة بهذه العلاقات مثل التقاليد وقوانين الأسرة والزواج والطبقات والقيم الاجتماعية..الخ، كما يسعى علم الاجتماع الى الكشف عن الاتجاهات والميول[2].

إذاً علم الاجتماع هو العلم الذي يهدف إلى دراسة كل ما هو اجتماعي، علماً أن العلوم "الاجتماعية" أو "الإنسانية" كل منها مكرس لدراسة فئات معينة من الحقائق الإنسانية، مثل القانون والاقتصاد والسياسة، بينما علم الاجتماع يتناول تلك الحقائق الإنسانية من جانبها الاجتماعي على وجه التحديد، في هذه الحالة، فإن الأمر يتعلق بمفهوم "الاجتماعي" كما هو متداول، والمعنى الأكثر توافقًا مع الاستخدام المتعلق بالمجتمع.

وبذلك يكون معنى المجتمع بشكل عام هو ذلك المجتمع البشري المعقد أو البسيط أين يعيش الأفراد بما تحمله كلمة العيش من معنى الاشتراك والتساند، ويقوم الأفراد الذين يشكلون جزءًا من المجتمع بتمثل خصائص المجتمع كالعلاقات بينهم سواء إرادية أو غير إرادية، صريحة أو ضمنية، حقيقية أو محتملة، فهم مترابطون ويشكلون جماعة تتكون بشكل عام من مجموعات فرعية متسقة إلى حدّ ما ومتنوعة حسب الأعضاء المشتركين فيها[3].

وعليه فإن علم الاجتماع هو الدراسة العلمية الموضوعية للمجتمع وخصائص الجماعات البشرية المكونة له والنظم والأفعال والعلاقات الاجتماعية بين أفراده، باستخدام المنهج العلمي وذلك بهدف استخلاص القواعد التي تحكم سير المجتمع في حالة استقراره وتغيره.

ثانيا: موضوع علم الاجتماع:

يُجمع أغلب علماء الاجتماع على أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة المجتمع والعناصر المكونة له، فهناك من يركز على الظواهر الاجتماعية مثل "إميل دوركايم" وهناك من يركز على الفعل الاجتماعي كـ"ماكس فيبر"، بينما هناك من اعتبر العلاقات الاجتماعية موضوعا رئيسيا كـ"جورج سيمل"، بالتالي يكون موضوع علم الاجتماع إجمالاً "هو دراسة المجتمع في ظواهره ونظمه وبنيته والعلاقات بين أفراده دراسة علمية وصفية تحليلية، بغرض الوصول الى الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها الظواهر الاجتماعية"[4].

---

[1]- محمودة، عودة، أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، (دون تاريخ)، ص17.

[2]- ف.جون رايت، مبادئ علم الاجتماع، ترجمة: شيا محمد، دار الحداثة للنشر والتوزيع، مصر، دون تاريخ، ص 13.

[3]- Joanne، Henri، **Introduction à la Sociologie Générale**، Présenté par : Claude Javeau، Revue de l'institut de sociologie،p 345.https://journals.openedition.org/sociologies/2964 (22/12/2020).

[4]- عبد الجواد، أحمد رأفت، مبادئ علم الاجتماع،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة، 1983، ص 23.

كما يتفق العلماء على أن موضوع علم الاجتماع هو كل ما يتصف بصفة الاجتماعي أو المجتمعي، مع الحفاظ على الحياد الموضوعي في البحث كهدف رئيسي يضمن علمية علم الاجتماع[1].

ويختصر أحمد رأفت عبد الجواد مواضيع علم الاجتماع كالأتي:

- دراسة العلاقات الاجتماعية والتفاعل الإنساني المتبادل.
- دراسة النظم والأبنية الاجتماعية دراسة الموضوعية
- دراسة الأنماط الاجتماعية والظواهر الاجتماعية.
- دراسة المجتمع الإنساني في استقراره وتغيره.

أ -وحدات التحليل في الدراسة السوسيولوجية :

الظاهرة الاجتماعية: هي الحدث الذي يمكن ملاحظته ويمثل تفردا أو تميزاً عن غيره ويتكرر في الزمان والمكان. ولها وجود موضوعي مستقل عن الافراد، أي أنها مجموعة الممارسات الجماعية، التي تعكس مظهرا معينا من مظاهر الحياة الاجتماعية.

الأفعال الاجتماعية: صورة ومظهر من مظاهر السلوك الإنساني الذي يشتمل على الإتجاه الداخلي والخارجي، الذي يكون معبراً عنه بواسطة الفعل أو الإعراض عن الفعل، ويصبح الفعل اجتماعياً عندما يرتبط المعنى الذاتي المعطى من طرف الفاعل لهذا الفعل بالمعنى الجماعي السائد في عقل الأفراد الآخرين ويكون موجهاً نحو هم.

ب- أهمية علم الاجتماع:

جوهر اهتمام علم الاجتماع يكمن في دراسة وفهم الاجتماع البشري وما ينشأ من عوارض ومشكلات، المساهمة الفعالة في فهم المشكلات الاجتماعية فهما علميا وتقديم الحلول المناسبة لها.وتتجلى أهمية علم الاجتماع فيما يلي:

1/ إدراك وفهم المجتمع البشري:

- معرفة كيف نشأت المجتمعات وكيف تشكلت أبنيتها ونظمها وعوامل استقرارها وتغيرها عبر الزمان والمكان
- التعامل مع الظواهر الاجتماعية بعلم وبصيرة والتعمق في حقيقتها ومعرفة أسباب حدوثها والدوافع العامّة للسلوك الإنساني.
- إكتساب نظرة تحليلية وأسلوب ابداعي في معالجة الأحداث المحيطة بالفرد نتيجة خبرته في فهم وتحليل الظواهر الاجتماعية.

2/ إدراك الفوارق الاجتماعية:

- الاطلاع على مختلف الثقافات والفئات الاجتماعية والتعامل الحيادي معها بتقبلها دون أحكام مسبقة، لأن الاختلاف مع الآخر لا يعني أحد الطرفين على خطأ، بالتالي يهدف علم الاجتماع الى خلق التعايش والتعاون والتضامن لاستمرار واستقرار الحياة الاجتماعية
- الانفتاح على حقيقة العيش في عالم إنساني مترابط زمانيا ومكانيا وكونيا بحيث تتحد المصالح بين طبقات المجتمع ويتساند أعضاءه فيما بينهم
- اكتساب حس موضوعي بعيدا عن الأيديولوجيات والاتجاهات المتعصبة

3/ التخطيط والتقييم للسياسات الاجتماعية:

[1]-- Delas Jean-Pierre et Milly Bruno، **Histoire des pensées sociologiques**، paris : Armand Colin، 2015، p 8.

- يقدم البحث الاجتماعي دراسات ومخططات للمشاريع والبرامج والسياسات المتبعة لتسيير وتنظيم المجتمع سواء مؤسسات أو تنظيمات أو إدارات أو مدارس ومراكز التكوين أو المؤسسات الاقتصادية...
- تقييم السياسات التنموية وتحليل عوامل نجاحها وفشها وتصميم مخططات إصلاحية تتماشى مع خصائص الفئات الاجتماعية.
- إنشاء برامج إصلاحية لأجل المحافظة على حقوق الفئات الهشة في المجتمع(مثل برامج حماية حقوق الانسان والضمان الاجتماعي، وخدمة ذوي الاحتياجات الخاصة.[1]

4/ التنمية الذاتية والبشرية:

- يهتم علم الاجتماع بالتنوير الذاتي وتنمية القدرات وخلق الإمكانيات لتوفير فرص النجاح في حياة الأفراد والجماعات.
- تعميق الفهم لاحتياجاتنا وزيادة معارفنا بالأسباب والدوافع الكامنة وراء سلوكنا وأفعالنا في ضل الواقع الاجتماعي المعيش.
- الوعي بالمركز والمكانة الاجتماعية ودورنا وأهميتنا في المجتمع وتعزيز قدراتنا على التأثير في مستقبلنا.[2]

ثالثا: علم الاجتماع والمنهج العلمي.

"عندما ظهر علم الاجتماع على يد عالم الاجتماع الفرنسى أو جست كونت كان أهم ما شغله وشغل الكثيرين من بعده هو دراسة علم الاجتماع للظواهر الاجتماعية المختلفة دراسة تعتمد على المنهج العلمي - ذلك المنهج المطبق في العلوم الطبيعية- وذلك للوصول إلى فهم دقيق لها، ولما تشكك البعض في إمكان تطبيق المنهج العلمي على دراسة الظواهر الاجتماعية، وحاول دور كايم حل هذا الإشكال عن طريق الفصل بين الظواهر الاجتماعية وظواهر الكون المختلفة، وعين لها خصائص ملازمة، واعتبرها "أشياء" تخضع لقواعد الميثودولوجيا العامة. وقد انقسم علماء الاجتماع إلى طوائف كثيرة واتجاهات ومنظورات علمية مختلفة".[3]

ويلخص العلماء المنهج في علم الاجتماع " أن منهج علم الاجتماع يعتبر نظامًا علميًا يلتزم بمطالب الشروط العلمية المتضمنة في كلمة علم، وعلى ذلك فهو لا يختلف عن أى نظام علمى آخر، وعلى الرغم من خاصيتي "التعقيد والتغير" اللتين يتسم بهما علم الاجتماع في مادته، فهو لديه أدواته ووسائله في التفسير، وهي تختلف عنها في العلوم الفيزيقية، وله أيضًا مفهوماته الخاصة، إلا أنه مع ذلك ينهج الطريقة العلمية في الدراسة. وشعار علماء الاجتماع في العصر الحديث هو "فلنذهب إلى الميدان" والذى يهدف إلى تأكيد أهمية الدراسة الحقلية والبحث الميداني. والمطلوب هو الملاحظة المباشرة للوقائع.[4]

يتفق كثير من المشتغلين بالبحث الاجتماعى على تقسيم خطواته الإجرائية إلى ثلاثة أقسام أو مراحل، تمثل الأولى تخطيط البحث، وتؤكد الثانية على تنفيذ البحث، وتوضح المرحلة الثالثة كتابة التقرير النهائى. ومع ذلك، فهناك من الباحثين من

---

[1]- أنتوني غيدنز، .**علم الاجتماع**، ترجمة: فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ، 2005، ص 52.

[2]- المرجع نفسه، ص 53.

[3]- محمد أحمد بيومي، **أسس وموضوعات علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2021، ص 45.

[4]- المرجع نفسه، ص 45.

يذهب إلى أن الشعور بمشكلة البحث هو أول خطواته، ويتم وضع الفروض ثم غربلتها، لينتهى البحث إلى التحقق من صدق الفروض المستقاة بعد اختبارها إمبيريقياً.

والملاحظ أن التصنيف الأول يصلح للدراسات ذات الطبيعة الكشفية أو الاستطلاعية أو الوصفية أو التفسيرية على أن التصنيف الثاني يصلح للبحوث التجريبية أو تلك التي تختبر الفروض السببية بصفة خاصة. ومن ذلك فإن علين التصنيفين يتفقان في الخطوات الإجرائية العامة عند تصميم أي بحث أو موضوع لبحث اجتماعي. وعند تنفيذه والانتهاء بكتابة تقريره واستخلاص نتائجه ونفر بنا أن نشير منذ البداية، أنه لا توجد قواعد جامدة في منظورات البحث النطاق.[1]

رابعا: علاقة علم الاجتماع ببعض العلوم الأخرى

1- **علاقة علم الاجتماع بعلم النفس** : علم النفس من العلوم التي تدرس طبيعة الانسان الفردية فيهتم بالغرائز الانسانية والملكات والاستعدادات التي تنطوي عليها طبيعة الانسان والعمليات العقلية كالذكاء والتخيل والتصور ومظاهر السلوك الفردى، ولكن الانسان اجتماعى بطبعه، فلا وجود للانسان الفرد ، ولكن الموجود في الواقع هو الفرد في وسطه الجمعى أي فى مجتمع . ولهذا فان جميع المسائل التي يعالجها علم النفس لابد وأن تكون متأثرة بطبيعة المجتمع ، وعناصرها مستمدة منه ، فخيال الأفراد وتصوراتهم ومدركاتهم الحسية لا يمكن أن تكون الا صدى لبيئة الفرد ووسطه الاجتماعي ، ولا يمكن أن تصدر هذه العمليات النفسية عن فردية خالصة مجردة عن واقعها الاجتماعي .[2]

التساؤل الذي يثار حول التمييز بين علم النفس وعلم الاجتماع قد يلق اجابات متعددة ، لعل من أبرزها ان علم النفس يدرس الفرد بوصفه شخصية أو كياناً سيكلوجياً متميزاً ، بينما يدرس علم الاجتماع الجماعات والمجتمعات والنظم الاجتماعية التاريخية . والواقع ان مثل هذه الاجابة تمثل تبسيطاً مخلاً للقضية يأتي على حساب الحقائق العلمية الموضوعية ، وأولى هذه الحقائق انه من الصعوبة بمكان أن نفصل فصلاً تعسفياً بين الفرد من ناحية والمجتمع من ناحية اخرى ، فالأفراد بوصفهم فاعلين نشطين في حركة التاريخ هم الذين يخلقون النظم والمجتمعات والحضارات.[3]

2- **علاقة علم الاجتماع بعلم بالأنثروبولوجيا**: الأنتروبولوجيا هي علم السلالات والاجناس البشرية ، واصولها وفروعها ، وعوامل اختلافها ، والثقافات الخاصة به وطرق انتقال تلك الثقافات ، وكذلك تهتم بدراسة المجتمعات البدائية لتكشف عن ثقافته ولغته وأساليبه في التفكير والعمل وتطورها ، والبحث في أصول النظم الاجتماعية ، ومدى تطورها من صورها البسيطة في المجتمعات البدائية الى صورها المعقدة في المجتمعات الحديثة . ويعتبر علم الأنثروبولوجيا أحد الفروع التي انبثقت من علم الاجتماع العام ، وأصبحت فى نطاق العلوم الاجتماعية الخاصة[4].

وتركز الانثربولوجيا الاجتماعية والحضارية على تطور الحضارة الانسانية والنظم الاجتماعية ، بأسلوب آخر تطور الانسان ليس بوصفه كائناً بيولوجيا ، بل بوصفه صانعا للحضارة والمجتمع ، والواقع ان الصلة بين الأنثربولوجيا الطبيعية

[1]- غريب سيد أحمد، **علم الاجتماع ودراسة المجتمع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص23.

[2] - أحمد رأفت عبد الجواد، مرجع سبق ذكره ، ص 31.

[3] - محمود عودة، مرجع سبق ذكره، ص 29.

[4] - أحمد رأفت عبد الجواد، مرجع سبق ذكره، ص32.

والحضارية صلة وثيقة وثوق العلاقة بين التطور العضوي والتطور الاجتماعي والحضاري للانسان ،لكن الأنثربولوجيا الاجتماعية والحضارية تركز أساساً على الجانب الاجتماعي والحضاري للتطور الانساني .[1]

أما الفروق الأساسية بين علم الاجتماع والأنتروبولوجيا الاجتماعية، التي لوحظت خلال فترة التباين فيمكن إرجاعها بسهولة إلى اختلاف موضوع الدراسة فلقد انشغل علماء الأنتروبولوجيا الاجتماعية - بعد أن أصبحت الدراسة الحقلية تمثل مطلباً حيوياً - في دراسة المجتمعات الصغيرة والتي تختلف في طبيعتها تمام الاختلاف عن مجتمعاتنا[2]

3- **علاقة علم الاجتماع بعلم التاريخ:**

التاريخ - كما هو معلوم - تسجيل لأحداث الماضي الحافل بمظاهر النشاط الانساني ، وعالم الاجتماع لا يمكنه دراسة الوظائف الاجتماعية التي تؤديها النظم ، ولا يستطيع أن يقف على حقيقة المسائل الاجتماعية وتطورها عبر الزمان ، وانتقالها من مكان الى مكان دون أن يرجع الى التاريخ ليختار من سجلاته ما يدعم اغراضه ، ويعينه على التحليل والتقليل . لهذا فان المفكر الاجتماعي يرجع الى مختلف فروع الدراسات التاريخية كتاريخ الآداب والفلسفة والقوانين والنظم والفنون ... لأن هذه الفروع تعكس لنا حياة الأمم ، وتصور لنا عاداتها وتقاليدها وأعراقها ، والعبادات والعقائد التي كانت تعتنقها ، كما يحتاج عالم الاجتماع الى الرجوع الى تاريخ الوقائع الحربية والثورات والانقلابات وتاريخ الزعامات وذلك لأن الالمام بهذه المعلومات التاريخية تمكن الباحث من التعرف على القوى المحركة لقيام الحروب والثورات ، كما يستطيع أن يكشف عن الأسباب الحقيقية لطبيعة الحوادث السياسية . ومن جانب آخر فان المؤرخين يمكنهم أن يستفيدوا من النظريات الاجتماعية ويصححوا الوقائع فى ضوء ما تقرره القوانين التي تسير عليها ظواهر الاجتماع الانساني[3]

4- **علاقة علم الاجتماع بالفلسفة :**

لقد نشأ علم الاجتماع في الربع الأول من القرن التاسع عشر في أوروبا على يد « أوجست كونت العالم الفرنسي في معترك الصراع بين تيارات فلسفية متعارضة ، سبقت وواكبت انهيار النظام الاجتماعي القديم (الاقطاع) وصعود النظام الجديد (المجتمع الصناعي الرأسمالي) . تيارات فلسفية سياسية واخلاقية انطلقت من منطق التنوير كالفلسفات السلبية والنقدية التي أسهمت في تقويض النظام القديم بوصفها أسلحة فكرية بالغة الضراوة ، أو من المنطق المضاد للتنوير كرد الفعل الفلسفي الرومانسي المحافظ الذي أخذ يتغنى بالعناصر الاجتماعية والأخلاقية الايجابية للنظام القديم . ان مفهومات وتصورات مثل التقدم أو التغير أو النظام الأخلاقي أو الاجماع هي تصورات تطورت في اطار التيارات الفلسفية بالاضافة إلى التحولات والأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي عايشتها أوروبا في تلك الفترة في بزوغ علم الاجتماع ، وأسهمت هذه التيارات الفلسفية في تشكيل تصورات ومفهومات هذا العلم[4].

5- **علاقة علم الاجتماع بالبيولوجيا والفزيولوجيا :**

---

[1] - محمود عودة، مرجع سبق ذكره، ص 41.

[2] - محمد الجوهري، **مدخل الى علم الاجتماع**، دار الثقافة للنشر والإشهار، القاهرة، 2007، ص 49.

[3] - أحمد رأفت عبد الجواد، مرجع سبق ذكره ، ص 33.

[4] - محمود عودة، مرجع سبق ذكره، ص23.

وهى علوم تدرس طبيعة الانسان بصفته كائناً حيا ، يتكون من خلايا وأنسجة وأجزاء حية ، كما تهتم بدراسة اعضاء جسم الانسان المختلفة وتطورها ووظائفها وأثر هذا التطور فى نشاط الانسان الاجتماعي . وقد تأثر علم الاجتماع بهذه الدراسات لدرجة أنه يمكننا أن نلمح أثر هذا في استخدامه الكثير من المصطلحات العلمية الخاصة بهذه الدراسات مثل : الأسرة أول خلية في المجتمع ، التشريح الاجتماعي ، التركيب العضوى ، المجتمع ذات حية ، وظائف وبنية المجتمع ... الخ . هذا وقد بالغ بعض العلماء من امثال (هربرت سبنسر) في تقدير أهمية العوامل الحيوية في مجال المجتمع لدرجة انهم فسروا ظواهر الحياة الاجتماعية في ضوء تفسيرهم لظواهر الحياة ، وذهبوا الى حد أنهم اعتبروا علم الاجتماع فرعا من علم الحياة العام.[1]

6- علاقة علم الاجتماع بعلم السياسة:

الواقع أن تأثير علم الاجتماع فى مجال الدراسات السياسية تأثير شديد الوضوح. فقد بدأ الدارسون تحويل اهتمامهم من الجوانب الرسمية للأنساق السياسية، إلى دراسة السلوك السياسي الذي يمكن استخلاص تعميمات تصدق عليه. ويبدو ذلك واضحاً في تزايد عدد الدراسات الخاصة بالأحزاب السياسية والجماعات الضاغطة، والانتخابات، والسلوك الإداري، والأيديولوجيات السياسية و غيرها. ونستطيع أن نلمس الطابع السوسيولوجي لعلم السياسة المعاصر بصفة خاصة في مجالين هما: نمو الدراسات المقارنة، ودراسة العلاقة المتبادلة بين السلوك والأنظمة السياسية في علاقتها بالنظم الاجتماعية الأخرى.[2]

يدرس علم السياسة الدولة وما يتفرع عنها من نظم حكومية ادارية وتشريعية وجدير بالذكر أن الدولة ما هي الا مجتمع قطع شوطا في الاستقرار والتطور الاجتماعي ، ولا تدوم الدولة ولا تقوم أنظمتها السياسية فتستمر او تتغير الا بفضل قوى ودوافع اجتماعية ، لأنها وليدة المجتمع ومظهر من مظاهر سيادته على نفسه ، وتدل على مدى استجابته لسياسته ، ومبلغ تمسكه بقوانينه ونظمه السياسية . وعالم السياسة لا يمكنه أن يكون ملما بأبعادها، متعمقا في فهم مسائلها ما لم يكن عالما بكثير من الحقائق الاجتماعية التي تساعده على فهم ظواهر السياسة ، فمثلا محاولة دراسة أسباب انقياد شعب لزعيم سياسى ، أو دراسات الرأى العام في مجتمع ما ، أو القوى المؤثرة في نفسية الشعوب الخ . مثل هذه الموضوعات لكى تدرس كظواهر سياسية لابد من فهمها في محيطها الاجتماعي . ونظرا للصلة القوية بين العلمين فقد نشأ فرع من فروع علم الاجتماع العام يسمى علم الاجتماع السياسي » وموضوع هذا الفرع دراسة الدولة باعتبارها وحدة سياسية واجتماعية تختلف عن اشكال التجمع الأخرى كالقبيلة أو القرية أو المدينة مع عنايته بدراسة العلاقات الاجتماعية السياسية والاقتصادية التي تربط هذه الوحدة بالعالم الخارجي [3].

علاقة علم الاجتماع بعلم الاقتصاد : يدرس الاقتصاديون الثروة ومواردها المختلفة ، وكيفية الانتاج والاستهلاك والتوزيع ، والثروة لكى توجد لابد لها من مجتمع يقوم أفراده بالبحث عنها وايجادها وهى لكى توزع أو يستهلك المنتج لابد أن يتم ذلك في مجتمع أيضا ، وأهم عناصرها الأيدى العاملة ، ولا شك أن كل هذه الأمور توضح الصلة القوية بين العلمين ، وقد نشأ علم جديد كواحد من فروع علم الاجتماع العام يسمى الاجتماع الاقتصادى ويعنى بدراسة أصول الانتاج والتبادل ومراحل

[1] - المرجع نفسه، ص 33.

[2] - محمد الجوهري، ص 58.

[3] - - أحمد رأفت عبد الجواد، مرجع سبق ذكره ص 33.

تطورهما والقوانين المتعلقة بهما ، ودراسة العملة ونشأتها وتطورها ووظائفها ، كما يعني بدراسة النظم الاقتصادية كما يهتم هذا العلم بدراسة العلاقات بين اصحاب رئوس الأموال والعمال ... الخ .[1]

خامساً: مجالات علم الاجتماع:

علم الاجتماع من أكثر العلوم شمولا لمجالات المعرفة الانسانية وميادين الحياة العملية كونه يواكب تطورات الحياة الاجتماعية بكل مظاهرها الفكرية والمادية، بالتالي تشعبت موضوعاته واتسعت أفاقه لتتفرع منه عدة تخصصات كلٌ منها يخدم جانب من جوانب حياة المجتمع، كما أن علم الاجتماع في مجالاته المختلفة قائم على "التفرع بين التدريس والبحث، و بين النظريات والأساليب والمفاهيم والتقنيات والتجريدات و العمليات من ناحية، استنادا الى كل من النظرية الاجتماعية الكلاسيكية والمعاصرة"[2]، وهنا نسعى الى ابراز اهم الميادين في علم الاجتماع

1- **علم الاجتماع تنظيم وعمل:** يهتم بدراسة كل أشكال التنظيم الاجتماعي المنظمات والعمل التنظيمي في المؤسسات المختلفة وهنا نبين حقل الدراسات في علم الاجتماع تنظيم وعمل:

- **بنية التنظيم ومكوناته:** وذلك من حيث دراسة أشكال التنظيمات وأسس الأداء المؤسسي وتقييمه، وبنية التنظيم من حيث الأهداف والمعايير، تحليل أنماط القيادة في التنظيم.
- **قضايا التنظيم:** وتتضمن مختلف المجالات منها المجال السياسي كدراسة معايير العمل السياسي، تسيير المصالح العامة، الاستشارة والاستشراف، التخطيط، في المجال الاقتصادي يقوم بتسيير العمليات الاقتصادية (الإدارة، الإنتاج، التسويق، الاستهلاك)، في تسيير الموارد البشرية، يعمل على تنظيم العلاقات داخل المؤسسة بين الرؤساء والمرؤوسين وكل ما يتعلق بالفاعلين، وكذا قضايا الصحة والخدمات والرعاية الاجتماعية.
- **السلوك الاجتماعي التنظيمي:** دراسة السلوك التنظيمي ودراسة أداء العاملين، وتحليل مدى تأثير قيم المجتمع على أداء ومردودية العمال، كما يقوم بدراسة مشكلات الاتصال، وكيفية اتخاذ القرار، والتحليل الاجتماعي لوسائل الاتصال وقنواته في التنظيم الرسمي وغير الرسمي.

أما بالنسبة لميادين العمل فتتمثل في الإدارة والتسيير، الرقابة والتوجيه، العمل على المستوى الاستشرافي: كالتخطيط وبرمجة السياسات في الإدارات العليا

2- **علم الاجتماع الريفي والحضري:**

إهتم علماء الاجتماع بالفروق الواضحة القائمة بين المدينة والريف، وبذلوا جهوداً علمية متباينة لوضع نظريات تفسر هذه الفروق، خاصة في أوجه النشاط الاقتصادي الأساسية. ولكن الجهود الحقيقة والمنظمة التي بذلت لوصف وتفسير هذه الاختلافات جاءت متأخرة، إلا في عصر المفكر العربي ابن خلدون في القرن الرابع عشر. فقد كتب ابن خلدون فصولاً منظمة في التمييز بين البدو والحضر[3].

---

[1] - المرجع نفسه، ص34.

[2] - Alain Caillé, **Pour une nouvelle sociologie classique**,Ed : LE BORD DE L'EAU, 2016, p19.

[3] - محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره، ص 187.

فعلم الاجتماع الحضري هو الأكثر اهتمام لد المعاصرين لكونه يهتم بدراسة المدينة بكل هياكلها ومؤسساتها ومدى أدائها لوظائفها والتخطيط للحلول الممكنة لتسيير المدينة ومشكلات سكانها وتنظيم الوسط الحضري وتسيير الخدمات العامة والمشاريع العمرانية والتجارية، والسياحية.

- **دراسة المدينة كظاهرة**: أي دراسة المدينة ودورها التاريخي ونشأتها وتطورها وأنماطها ووظائفها، ودراسة الفروق بين المجتمعات المحلية الحضرية والريفية والتعرف على الآثار المتبادلة بينهما ثنائيات المقارنة (نوع النشاط، الكثافة، السكانية والمعنوية، اشكال التضامن)، كما يهتم بالبنية الهيكلية والمعمارية للمدن وتنظيم التوزيع السكني، ومن جهة أخرى يهتم بدراسة الإيكولوجيا الحضرية والعلاقات بين المجتمع وبيئته الطبيعية

- **دراسة المدينة من حيث المشكلات والقضايا:** أي دراسة تأثير المدن والحياة الحضرية على السلوك الاجتماعي والنظم الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية، وظاهرة الهجرة والاتجاهات الديموغرافية والتمركز السكاني ومؤشرات التحضر، وكذا دراسة العلاقات العرقية والاتجاهات الاقتصادية والسياسية وتأثيرها على التفاعلات في المدينة، كما يدرس أثار التحضر على الاغتراب الاجتماعي وكيفية تشكل الطبقات الاجتماعية، من جهة أخرى يهتم بدراسة المشكلات الاجتماعية في المدينة مثل مشكلات الجريمة والفساد والكثافة السكانية و الخدمات والمواصلات والترفيه وغيرها من المشكلات الناجمة عن ظاهرة التحضر

3- **علم الاجتماع الثقافي**

يدرس كل الظواهر الثقافية وعلاقتها بكل نواحي الحياة الاجتماعية بكل أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.. هذا التخصص يفتح للطلبة كل أبواب التوظيف. وتعني الثقافة في نظر علماء الاجتماع جوانب الحياة الإنسانية التي يكتسبها الإنسان بالتعلم لا بالوراثة. ويشترك أعضاء المجتمع بعناصر الثقافة تلك التي تتيح لهم مجالات التعاون والتواصل. وتُمثّل هذه العناصر السياق الذي يعيش فيه أفراد المجتمع. وتتألف ثقافة المجتمع من جوانب مضمرة غير عيانية مثل : المعتقدات ؛ والآراء؛ والقيم التي تشكل المضمون الجوهري للثقافة، ومن جوانب عيانية ملموسة مثل : الأشياء، والرموز ؛ أو التقانة التي تجسد هذا المضمون[1]، وكل ذلك يصبح مجالا لعلم الاجتماع للدراسة والتعمق.

4- **علم الاجتماع التربوي:**

يدرس الأنظمة التربوية والظواهر المدرسية ودورها في تغيير المجتمع من خلال علاقتها مع باقي مؤسسات المجتمع وتأثرها بالمرجعيات الثقافية وتفاعلها مع التغيرات.

كما "تعرف الظاهرة التربوية من وجهة النظر الاجتماعية بأنها نظام اجتماعي يقوم بدور وظيفي في إعداد وتنشئة وتشكيل النشء من خلال وسائط ومؤسسات وأجهزة لها فاعلية تكوين الفرد وتهيئته من النواحي الجسمية والعقلية والأخلاقية، ليكون عضوا في مجتمعه، يحيا حياة سوية في بيئته الاجتماعية. وينطوى هذا المفهوم على أن الظاهرة التربوية أعم وأشمل من ظاهرة

[1] - أنتوني غيدنز، مرجع سبق ذكره، ص 82.

التعليم، وأن النظام التربوى بهذا المعنى عملية عامة ومستمرة لإعداد الفرد للتكيف مع بيئته الاجتماعية، وإمداده بعناصر مدنيته وحضارته، ولتزويده بمظاهر التحضر وبإنجازات العلم والتكنولوجيا وبإرشاده بوسائل تبصيره وتوعيته"[1].

5- **الاجتماع السياسى:**

هو العلم الذى يقع بين حدود علم الاجتماع وحدود علم السياسة. فإذا كان علم الاجتماع يهتم بتحليل سلوك الأفراد في علاقتهم بالمجتمع، أى أنه يهتم بتحليل العلاقات الاجتماعية والجماعات الاجتماعية والنظم الاجتماعية، وإذا كان علم السياسة يهتم بتحليل النظم السياسية كالمؤسسات التشريعية والتنفيذية والتنظيمات الحزبية وجماعات المصلحة، فإن علم الاجتماع السياسي هو العلم الذى يحاول الربط بين الأبنية السياسية والأبنية الاجتماعية وبين السلوك السياسي والسلوك الاجتماعي. وهو إذ يسعى إلى تحقيق هذا الهدف فإنه يفترض أن النظم السياسية والسلوك السياسى لا يتحقق لهما فهم ملائم في ضوء تحليل أبنيتها الداخلية فقط، وإنما لابد أن يتم ربطها بالنظم الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية والثقافية[2].

[1] - محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره، ص241.
[2] - المرجع نفسه، ص 243.

المحور الثاني: تاريخ نشأة علم الاجتماع
- من الفكر الاجتماعي إلى علم الاجتماع -

تمهيد:

عرف الإنسان منذ القدم تفكيراً حول المجتمع، وطرح تساؤلات عن الحياة الاجتماعية وما تتضمنه من علاقات وروابط بين الأفراد والجماعات، وقد برز هذا التفكير مع الفلسفات القديمة والحضارات القديمة، على رأسها الفلسفة اليونانية ثم الفلسفة الإسلامية، إلاّ أنه تطور مع فلسفة الأنوار في أوروبا، ولهذا كان التفكير الاجتماعي القديم يختلف من حضارة الى أخرى تبعا للسمات الفكرية والثقافية لتلك المجتمعات ولما يتطلبه المجتمع من شروط لمعالجة قضاياه في تلك المراحل، غير أن هذا التفكير لم يصل إلى درجة من التنظيم والمنهجية لكي يتمكن من إحداث الفارق الذي وصل إليه التفكير العلمي الحديث، بل كان يتسم بالمثالية والذاتية والتأملات التي حاول الفلاسفة من خلالها وصف ما يجب أن يكون عليه المجتمع حسب وجهة نظرهم لا كما هو قائم بذاته في الواقع، وبالرغم من ذلك يُعتبر التفكير الاجتماعي الأرض الخصبة التي ضلت تنمي الفكر الاجتماعي إلى أن توّج بالمرحلة العلمية، وعليه سنحاول هنا أن نلقي نظرة مختصرة عن المراحل الأولى لنشأة هذا التفكير.

الدرس الأول الجذور التاريخية للتفكير الاجتماعي

أولا: المرحلة الأولى/ التفكير الاجتماعي القديم

سادت هذه المرحلة العصور القديمة عندما عرفت المجتمعات استقراراً وتوسعا على المستوى الاقتصادي والسكاني، حيث تولى نخبة من ذوي الفكر من رجال الدين والحكماء محاولة فهم الأوضاع الاجتماعية وتسيير شؤون المجتمع، خاصة بعد بزوغ الحضارات الأولى للإنسان التي حاولت فهم الظواهر الاجتماعية ومنها الحضارة المصرية، الفلسفات الأسيوية الحضارة اليونانية والحضارة الإسلامية.

1/ تعريف الفكر الاجتماعي: هو مجمل الأفكار والتساؤلات التي كان يحملها الانسان منذ القدم عن الحياة الاجتماعية والمحيط الذي يشترك فيه مع الآخرين وما يتضمنه من علاقات، وروابط وتفاعلات بين الأفراد والجماعات، ومحاولة تنظيمها وتسييرها بما يضمن وحدة المجتمع واستقراره واستمراره. "كما يُقصد به الأنشطة والفعاليات والممارسات وأشكال التفكير البسيط التي عرفتها المجتمعات البشرية، منذ بداية نشأتها، والتي ما لبثت أن تطورت وتنامت بالتدريج، عبر المراحل التاريخية المتعاقبة وشكلت ما يعرف بعلم الاجتماع"[1]

[1]- نبيل، عبد الحميد عبد الجبار، **تاريخ الفكر الاجتماعي**، دار دجلة، العراق، 2009، ص 06.

2/ خصائص التفكير الاجتماعي القديم: يتميز التفكير الاجتماعي بالبساطة والسطحية: التفكير البدائي يتشكل حول الحياة البسيطة للإنسان وأخذ الأمور بمظهرها لا بأبعادها المتعددة العميقة، أي التفكير في الحياة كما تبدو للعيان دون التعمق في عناصرها والبحث عن خصائصها المميزة وعوامل تغيرها وتطورها.

الخيال الأسطوري: يهتم بما يصنعه العقل المجرد من اعتقادات في خياله وتشكيلها في قصص وروايات ثم الإيمان بها على أنها حقائق تحكم الواقع.

الذاتية والمعيارية: كل ما يتصل بذات الشخص المفكر وخلفيته الفكرية من أراء، أفكار، ثقافة، عادات، تقاليد وأعراف... كلها مع الوقت تصبح قواعد ومعايير يرجع إليها الأفراد في حكمهم على الأمور.

المثالية: تجاوز الواقع وبناء تصورات حسب ما يعتقده المفكر لا كما هو واقع بالفعل. فهي أفكار يقدمها بمثابة النماذج للموجودات الجزئية المادية، و لا يمكنها التحقق على أرض الواقع[1].

3/ التفكير الاجتماعي في الحضارات الشرقية:

قامت الحضارات القديمة منذ قرون قبل الميلاد في قارة أسيا وعلى ضفاف الأنهار، فكان من أبرز مظاهر هذه الحضارة الآثار العريقة، وتطورها الفكري، وأنظمتها الإدارية القومية، وبنيانها الراسخ الذي استمر طوال هذه القرون، وقدكان أصحاب الفكر ورجال الدين هم الذين يسنون القوانين والتشريعات الاجتماعية والاقتصادية والدينية من خلال محاولاتهم لتوجيه أفراد المجتمع للسير على نظام موحّد يضمن استقرار المجتمع وتنظيمه.

أ- **الحضارة المصرية:** تعد الحضارة المصرية القديمة من أقدم الحضارات التي عرفها العالم القديم، من الناحية الاجتماعية عرف الفراعنة أدق النظم في الحكم والتسيير للمجتمع، ووضعوا التشريعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فكان أصحاب الفكر هم الذين يسنون القوانين من خلال محاولاتهم لتوجيه الناس للسير على نظام موحّد يضمن استقرار المجتمع. ولقد ساهمت بيئة نهر النيل في تجمع المصريين حوله، فأقاموا القرى والمدن قريبة من بعضها، مما أوجد تجمعات بشرية قامت بين أفرادها علاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية ودينية قوية ومتقاربة، وتتميز اتجاهات الفكر الاجتماعي في الحضارة المصرية القديمة، بعدة سمات منها:

- ارتباط المجتمع بالحياة الدينية، حيث اهتموا بفكرة البعث والخلود والحساب، والبحث عن الحقيقة الأولى في حياة الإنسان، ولم تقل مكانة الكهنة عن مكانة رجال الحكم ومساهمتهم في تسيير المجتمع.
- الاهتمام بوضع المجتمع على قوانين موحدة: من خلال دعم الجوانب الأخلاقية والإنسانية من أجل المحافظة علي بنية المجتمع واستقراره، والبحث في كيفية جمع الثروة وتوزيعها وذلك بإجراء التعدادات العامة للثروة البشرية والحيوانية والنباتية ومدى كفايتها

[1]- طلعت، إبراهيم لطفي، **ميادئ علم الاجتماع**، دار المعرفة، القاهرة، دون تاريخ، ص 3.

ب- **الحضارات الأسيوية:** كانت العقائد والممارسات الثقافية ذات تأثير كبير على الحياة السياسية والاقتصادية وأنماط السلوك وأساليب التفكير وبرزت عدة فلسفات لتنظيم المجتمعات منها: ففي الصين كانت فلسفة كونفوشيوس التي من خلالها أوجد حلولا للتنظيم السكاني وساهمت في حل المشكلات الاجتماعية.

أما في الهند يُعتبر "نظام الطوائف السائد الذي يميز فئات المجتمعهو الدعامة الأساسية للمجتمعات التي تعتنق "الديانة البراهمية"، حيث قدمت هذه الفلسفة تبريرات وتفسيرات على وجود الطبقات الاجتماعية، وأوضحت الأهمية والمنفعة التي تعود على المجتمع، مما يدل على أن "البراهمية" نظاما متماسكا في المحيط الاجتماعي والديني وكذلك في المحيط الاقتصادي والمهني"[1]

الفلسفة البوذية: قدم بوذا تعاليمه التي سار عليها أتباعه لقرون وحددت طرائق وكيفيات لتنظيم حياة الأفراد الروحية والعملية، حيث مزج بين الجانب الروحي والنفسي والسلوكي لإصلاح الفرد والمجتمع ولازالت تعاليمه الى الآن يؤخذ بها.

نستنتج إذا أن الفلسفات الشرقية كانت تتميز بالميل الى الجانب الديني الأسطوري من جهة، ومن جهة ثانية إهتمت بالحياة الاجتماعية وتسيير المجتمع تبعا للعقائد السائدة لدى المجتمعات القديمة، وكان ذلك على يد الحكماء وقادة الفكر في المجتمع.

ثانيا: المرحلة الثانية/ المرحلة الفلسفية

1/ الفلسفة اليونانية:

في هذه الحضارة برز الفكر الفلسفي الاجتماعي الجنيني لدى نخبة مثقفة من المفكرين والفلاسفة، الذين سعوا إلى التحليل والتعمق في قضايا المجتمع ومتابعة التحولات التي شهدتها المجتمعات أنذاك، وقد توفرت شروط نمو الفكر الاجتماعي في بلاد الاغريق التي ازدهرت فيها أكبر المدارس الفلسفية مع أفلاطون وأرسطو ومدرسة السفسطائيين.

جاءت أفكار أفلاطون على أسس مثالية تهدف الى إقامة العدالة والفضيلة، إذ لا تتحقق هذه المبادئ إلاّ في مدينة فاضلة كما أطلق عليها أفلاطون، ولتجنب الاضطرابات في المدينة يتطلب احترم أدوار الأفراد والجماعات وفصل الوظائف بين طبقات المجتمع، المتمثلة في طبقة الفلاحين القائمين على النشاط الاقتصادي، طبقة الجنود وهم الحامين للمدينة، وطبقة المفكرين والحكماء وهم المكلفون بالحكم وتسيير المدينة، هذا التوازن يتطلب الدعم من طرف النظام التعليمي والتربوي الذي يعمل على اختيار الأفراد وفقًا لقدراتهم ومهاراتهم لكي يضمن إستمرار هذا النظام المثالي في المدينة حسب أفلاطون[2].

وبهذا يكون قد بين أهمية تقسيم العمل وأن العدالة تتحقق عندما يقوم الأفراد بأعمالهم حسب كفاءتهم في حدود الطبقات التي ينتمون إليها، إذا يمكن القول أن أفلاطون بالرغم من اجتهاده إلاّ أن أراءه تفرض على المجتمع تأملاته الفلسفية لنموذج دون مراعات التغييرات الواقعية.

[1] - غاستون بوتول، **تاريخ علم الاجتماع**، تر: غنيم عدون، مراجعة جلال حسن صادق، مصر: الدار القومية للطباعة والنشر، دون تاريخ، ص7.

[2]- Delas Jean-Pierre et Milly Bruno، op-Cit p 16.

أما كتابات أرسطو فقد جاءت أكثر واقعية ووضعية وأدق من الفلسفات القديمة، حيث أورد أفكاراً إجتماعية ضلت أهميتها على طول امتداد التفكير الاجتماعي لعصور، ومن بينها أن الانسان مدني بطبعه ولا يمكنه أن يحيا ويعيش منفصلا عن المجتمع، واعتبر الدولة وجدت لتنظيم حياة الناس في المجتمع وتشرف عليهم وتطبق التشريعات بهدف تحقيق العدالة والمساواة، كما يقر أرسطو بأهمية الأسرة على عكس أفلاطون الذي نفى أهميتها في طبقتي الجند والحكام، وهكذا فقد تطرق أرسطو الى أهم المسائل في علم الاجتماع.[1]

إذاً تتلخص إسهامات الحضارة اليونانية في الفكر الاجتماعي ضمن العناصر التالية:

- ✓ التأكيد على مبدأ التغير الاجتماعي في الحياة الاجتماعية، فالمجتمع ينتقل من البساطة إلى التعقيد.
- ✓ يحقق المجتمع التوازن عندما يحقق الفضيلة والمثل العليا كالتعاون والترابط وتقسيم العمل
- ✓ يُبنى المجتمع على العلاقات بين الفرد والمجتمع والانتماء الى الدولة التي تحافظ على الاستقرار والتوازن بين فئات المجتمع.

إن هذه البوادر تشير إلى أن الانسان المفكر قديماً لم يهمل الجانب الاجتماعي، بل هناك من الفلسفات ما كان لها من العمق والتحليل لدرجة أنها ارتقت بمستوى تنظيم وتسيير مجتمعاتها بأساليب إبداعية لم يعرفها الانسان من قبل، ومن خلالها تراكمت المعرفة الاجتماعية وانتقلت من مجتمع الى آخر ومن حضارة إلى أخرى حتى وصل التفكير الاجتماعي إلى مراحل من النضج المعرفي.

2/ الفلسفة الإسلامية:

كانت الحضارة الإسلامية منبعا وجسرا من أكبر الجسور الناقلة للفلسفات القديمة، وقد برز المفكرون الاجتماعيون من خلال تناولهم لشؤون المجتمع في محاولات معرفية غيرت التفكير الاجتماعي من الأساطير والخرافات الى المنطق والواقع المعاش، وقد برز العديد من المفكرين أشهرهم الفرابي وابن خلدون.

وقد لقب الفرابي بالمعلم الثاني بعد أرسطو إذ تبنى الكثير من أراءه ، فضلا عن تأثره بالأفلاطونية الحديثة وأصبح ممثل الاتجاه المثالي في الفكر الإسلامي، ومن مؤلفاته "الشؤون الاجتماعية" و"أراء أهل المدينة الفاضلة"، كما يؤيد الفرابي مقولة الانسان مدني بطبعه ، وان الاجتماع الإنساني ضرورة لاشباع حجات الفراد، كما يشير الى أهمية تقسيم العمل والتخصص الاجتماعي ودورهما في بناء المجتمع، كما قسم المجتمعات الى نوعين، مجتمعات إنسانية أقرب الى الكمال يقصد بها المجتمع الإنساني بكل اختلافاته وأخرى ناقصة وهي الدولة أو الأمة، وفي تناول الفرابي لهذه التقسيمات ركز على المجتمعات الأقرب للكمال وأهمل الأخرى خاصة تلك التي تتوسط الطبقة الأولى والطبقة الدنيا[2].

يعد إبن خلدون من المفكرين الاجتماعيين الذين غيروا وجهة التفكير الاجتماعي القديم وإدراجه في إطار جديد، حيث جاءت مساهمته بصورة منهجية وأكثر موضوعية ودقة مقارنة بالفكر الذي ساد قبله، فالجديد الذي أتى به ابن خلدون يكمن

[1]- عبد الجواد، أحمد رأفت، مرجع سبق ذكره، ص8.

[2]- عبد الهادي محمد والي، **المدخل الى علم الاجتماع**، مكتبة فلسطين، (د.م)، 2003، ص 150

في موضوع البحث للعلم الجديد المتمثل في علم العمران، كما يكمن في المنهج والطريقة التي عرض بها دراسته وانتقد سابقيه، بالإضافة الى اللغة العلمية البسيطة والدقيقة، كما حدد مكانة هذا العلم الجديد بالنسبة للعلوم الأخرى، و أطلق عليه إسم "علم العمران البشري"، وقد بين كل ذلك في مقدمته الشهيرة المتضمنة كجزء من كتاب ضخم مكوّن من سبعة مجلدات بعنوان "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

وفي هذه المقدمة عرض حقيقة العلم الجديد الذي يدرس المجتمع الإنساني وطبيعة الإنسان وعلاقاته بتكوين الجماعة والنظام الاجتماعي، ودرس العلاقة المتفاعلة بين الفرد والمجتمع بعد أن قدم مقارنة علمية بين الكائن الاجتماعي والكائن العضوي من ناحية البناء والوظائف والتكامل بين الأجزاء والنمو والتطور، ولم يكتف بدراسة نمو وحركة وتطور المجتمع بل حدد قوانين التغير والاستقرار التي تحكم تاريخ المجتمع، كما حلل دور المناخ والبيئة الجغرافية في تأثيرها على النظم الاجتماعية السائدة في المجتمع، وغيرها من الأفكار المبتكرة حول المجتمع وبيئته.

3- الفلسفة الاجتماعية والمساهمات الممهدة قبيل نشأة علم الاجتماع:

بدأت معالم علم الاجتماع تظهر الى الوجود في القرن التاسع عشر، وذلك لما يميز هذا القرن من تحولات عميقة، فمن الناحية الفكرية والفنية يطلق على هاذين القرنين اسم العصر الكلاسيكي، حيث انتقل المجتمع من صفته التقليدية الى الحداثة ومن المجتمع المحلي الشعبي إلى المجتمع العالمي، ومن النظام الكنسي الى العلماني، بالتالي حصلت تغيرات جذرية على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني[1]،

ويذهب الكثيرمن مؤرخي الفكرالاجتماعي إلى أن ظهور علم الاجتماع يرجع بصورة رئيسية إلى النهضة الفكرية التي جاءت مع حركة الفكر التنويري في أوروبا، والتي كان ظهورها نتيجة تفاعل ثلاث أحداث رئيسية تمثلت في:

- ✓ انهيار الكنيسة الكاثوليكية بعد نجاح الثورة البروتستانتية، وانهيار القيم القروسطية التقليدية القائمة على اللاهوت والخرافة والاستبداد وبروز القيم العقلانية والنزعة الفردانية، ومفاهيم الحرية والعدالة، وبروز التفكير العلمي كبديل للتفكير اللاهوتي.
- ✓ تحطيم الأنظمة القديمة الاقتصادية والسياسية (القائمة على الاقتصاد الاقطاعي والأنظمة الملكية) وبروز أنظمة جديدة بعد الثورة الفرنسية قائمة على البرجوازية والرأسمالية ونظام الدولة الديموقراطية الحديثة.
- ✓ استقلالية التفكير العلمي عن الفلسفة والعمل به في علوم الطبيعة والحياه وانتقاله إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وقد ازدهر الفكر الاجتماعي في فترة الفلسفة الاجتماعية التنويرية على يد عدد من مفكري عصر الأنوار من أمثال سان سيمون، مكيافيلي، ومونتسكيو، الى جانب تصورات أصحاب مدرسة العقد الاجتماعي من أمثال توماس هوبز، وجون لوك، وجون جاك روسو، وأصحاب فلسفة التاريخ من أمثال كوندرسيه وفيكو وإيمانويل كانت، ثم تبلورت الأفكار الاجتماعية حول العلم الجديد مع أدولف كيتلي وهربرت سبنسر وأوغيست كونت، وهي أفكار وفلسفات مهدت لقيام علم الاجتماع واستقلاليته

[1]- Delas Jean-Pierre et Milly Bruno، op-cit ، p23.

عن الفلسفة القديمة، لهذا اعتبرت مرحلة الفلسفة الاجتماعية كمرحلة انتقالية بين مرحلة الفلسفات القديمة و مرحلة نشأة علم الاجتماع.

ويرى البعض أنه من الصعب دائمًا تحديد فترة النشأة فالمؤرخون يعرفون هذه المشكلة من بداية القرن التاسع عشر في عام 1789 و الى غاية عام 1914. بطرح أطروحة مفادها أن علم الاجتماع يمر بمراحل النضج تمتد تقريبًا الى نهاية الحرب العالمية الأولى في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي وهذا التقسيم، على هذا النحو يمكن أن يؤدي في بعض الحالات، إلى الجمع بين جيلين متتاليين. ومع ذلكيبدو لنا أنه الأكثر صلة من وجهة نظر بناء علم الاجتماع.[1]

ا- **فلسفة العقد الاجتماعي:** هي محور التفكير عند فلاسفة الأنوار، وقد حاولت هذه الفلسفة طرح تساؤلات حول كيف توصل الانسان الى التعاقد لأجل إنشاء المجتمع بكل نظمه وقوانينه ومؤسسات؟

يرى فلاسفة العقد الاجتماعي أن المجتمع تكوّن نتيجة الإتفاق والتعاقد بين مجموعة من الأفراد لأجل حماية مصالحهم والحفاظ على استقرارهم واستمرارهم، فمنطلقات هذه الفلسفة تبدأ بالمقارنة بين "الحالة الطبيعية" التي عاشها الانسان منذ وجوده في الطبيعة وكيفية انتقاله الى العيش في الجماعة عن طريق الاتفاق أو العهد وأطلق عليه بـ"حالة التعاقد الاجتماعي"، بالتالي إرتبت هذه الفلسفة بعدة مفاهيم وهي:

- الحق الطبيعي: إن مفهوم الحق الطبيعي المتميز عن الحق الوضعي هو قديم قدم الفلسفة حيث برز في العصور الإغريقية القديمة حتى أخذت المسيحية هذا المفهوم الذي يظهر القانون الطبيعي وكأنه التعبير عن الإرادة الإلهية، كما كان للمنظرين الجدد وجهة نظر حول الحق الطبيعي كونه يمثل المنفعة العامة وحقوق الأفراد والحالة الطبيعية وهكذا برروا الطموحات القومية وقدموا للملوك الحجة في صراعهم ضد النبالة التي كانت تتمتع بامتيازاتها، وقد ذهب المفكر الهولندي (غروسيوم 1583 (1645 / إلى القول: بأن القانون الطبيعي هو قرار عقل سليم ينير في أمر من الأمور فيحكم عليه بحسب مناسبته او مخالفته للطبيعة العاقلة / هل هو فاسد أخلاقياً أم غير فاسد، وبالتالي هل هذا العمل هو واجب أم مخلوق من قبل الله خالق هذه الطبيعة[2].
- الحالة الطبيعية: هي حالة الإنسان الأول الذي يملك الحق الطبيعي الذي تمنحه له الطبيعة في غياب أي نظام أو قانون وضعي بشري، أي الانسان المتحرر من قيود أي سلطة اجتماعية كما كان في الطبيعة الأولى. ففي هذه الحالة تكون أفعال الأفراد مرتبطة فقط بقوتهم ووعيهم الذاتي ومصالحهم الشخصية، بالتالي تسود الفوضى ويسميها بعض المفكرين بالحالة الهمجية.
- حالة العقد الاجتماعي أو الحالة النظامية: هي الوضعية التي يتقبل فيها الأفراد بشكل ضمني أو صريح أن يتخلوا عن بعض حرياتهم وحقوقهم الطبيعية لأجل الاندماج في جماعة تحت سلطة الحاكم (أو لقرار الأغلبية) مقابل حماية بقية حقوقهم التي تصبح شرعية ينصها قانون الدولة ويحافظ عليها مادام الفرد تابع لها. وليس من السهل أن نقول ممن تتألف فلسفة القانون الطبيعي بصورة أساسية فهي تقرر أن هناك بصورة من الصور في تركيبة هذا العالم، قانوناً يميز الخير من

[1] - Jean-Michel BERTHELOT, **la construction de la sociologie**, ed : PUF- Que sais-je, (sd) ?, p 45

2- توشار، جان، **تاريخ الفكر السياسي**، ترجمة: علي مقلد، الدار العالمية، بيروت، 1981، ص254.

الشر أو الصواب من الخطأ – وتقرر إن الحق والصواب أمر طبيعي وليس من اختراع الإنسان وابتداعه، وإن هذا الحق والصواب لا يتحدد في أي قطر من صفة الإلزام في المحاكم إذ إن كل هذه قد تكون جائرة وغير عادلة[1].

ويسعى المفكرون الاجتماعيون الى تفسير كيفية الانتقال من الحالة الطبيعية الى الحالة النظامية ونجد العديد من الفلاسفة بينوا ذلك ومنهم:

❖ **توماس هوبز** : يرى هوبس أن الأمان والسلام لا يحصل دون التضحية ببعض الحريات الفردية، ولذا اقترح نوعا من العقد غير قابل للنقض بين المحكومين والحاكم، حيث يتم بموجبه تسليم السلطة المطلقة للدولة لكي تضمن السلام والأمان للمواطنين ، وهنا يبرر هوبس ذلك بانتقال الانسان من حالتين هما الحالة الطبيعية الى الحالة النظامية[2].

في الحالة الطبيعة لم يكن ثمة قانون ولا رادع ولا سلطة تقهر، بل يسلك فرد من أفراد البشر سلوكه بدافع من أنانيته وحبه للبقاء، ساعياً من أجل الاستحواذ على كل شيء يعتقد أنه ينفعه في حياته ويضمن استمرارها. ويعتبر هوبز أن الحالة الطبيعة تتسم بالهمجية وغياب النظام لأن الانسان شرير في طبعه ويسعى لتحقيق مصالحه الفردية بدافع من حب البقاء، وهنا تأتي سلطة القوي لكبح همجية الانسان واخضاعه لقوانين بموجبها يتخلى الفرد عن كامل حقوقه وارادته للدولة لأجل تنظيم المصلحة الجماعية، فالدولة هي تعاقد اختياري يقومُ به النَّاس من أجلِ تشكيل نظام يُخرجهم من حالة الهمجية الى الحالة النظامية، وقد أكد هوبز على ان مصدر السلطة هو أساس فلسفي لا ديني ينبع من الأفراد الذين تنطبق عليهم هذه السلطة مقابل ما يوفر لهم الأمن والسلام[3].

❖ **جون لون لوك:** اختلفت نظرة لوك عن هوبز حول الطبيعة البشرية والظروف التي عايشها البشر في ظل حالة الطبيعة، حيث يرى أن الانسان ليس انانيا ولا عدوانيا كليا إلاّ في بعض الاستثناءات، بل كان الانسان مشبعا بروح الحرية والعدالة، وان حالة الطبيعة لم تخلو من القوانين وانما تتمتع بقوانين الطبيعة لكنها تتسم بالغموض والقابلية للتأويل مما يؤدي الى سوء فهمها وتصادم مصالح البشر وتداخلها وظهور نزاعات مفتوحة دون حكم.

- أكد فكرة العقد الاجتماعي لكن دون إلزام أي الاتفاق على اختيار من بينهم من يتولى وظيفة الحكم وإقرار قوانين واضحة مع إقامة سلطة تنفيذية لتطبيق تلك القوانين وسلطة قضائية للفصل في النزاعات، ويرى أن الحقُّ الطبيعي مصدره أساساً الحالة الطبيعية، وأن القانون الطبيعي هو الذي يحافظ على الحقوق الجماعية للأفراد المتمثلة في(المساواة- الحرية- الملكية)، ويفسر ذلك بما يلي:

- يجب أنلا يمنح للدولة غير الحد الضروري من السلطة لتسيير شؤون الحكم وفق ما هو مقرر في الدستور ، وجوهر وظيفتها هي حماية أرواح المواطنين وحريتهم وملكيتهم.

- إذا فشلت الدولة في تأمين هذه الوظائف تتعرض للمحاسبة والخلع[4].

1- نورمان بالمار، **تاريخ العالم الحديث**، ترجمة د. حسن علي ذنون، مكتبة دار المتنبي، بغداد، 1994 ص97.

2- ف.جون رايت، **مبادئ علم الاجتماع**، ترجمة: شيا محمد، دار الحداثة للنشر والتوزيع، مصر، دون تاريخ، ص20.

3- نبيل، عبد الحميد عبد الجبار، مرجع سبق ذكره، ص 156.

4- المرجع نفسه، ص ص 157-159.

بالتالي يرى جون لوك أن الحالة الطبيعية مرغوبة على خلاف توماس هوبز الذي اعتبرها شريرة وخاضعة للقوة، وأن الانتقال من حالة الطبيعة إلى الحالة التعاقدية النظامية يكون عبر عقد اجتماعي. يتضمن ثلاث محددات لتنظيم المجتمع وهي: سيادة الشعب - الرأي للأغلبية - والسلطة الديمقراطية، كما يعتبر جون لوك أو ل من فصل بين السلطات الثلاث.

- السلطة التشريعية: هي التي تشرّع القوانين وتحافظ على الحق الطبيعي كأصل
- السلطة القضائية: مُهمتها هي فض النزاعات.
- السلطة التنفيذية: هي التي تُنفذ القوانين الصادرة. السلط.

جون جاك روسو: أسهم روسو بكتابه بعنوان "العقد الاجتماعي" في تطوير الفكر الاجتماعي والسياسي معا، وبث أفكاره حول الحرية والمساواة والإخاء، وهي نابعة من فلسفة الثورة الفرنسية، ويرى روسو ان مطلب التوفيق بين سلطة الدولة والإرادة الفردية هو ما يسمى بالإرادة العامة، ولهذه الإرادة العامة قوة تامة، وأي معارضة من الفرد لهذه الإرادة ما هي إلاّ لجهله بمصالحه الفردية في اطار الجماعة المنتمي اليها، ويدعو روسو إلى النِّظام السياسي الذي ينبني على العقد الاجتماعي، إذْ يرى أن ضرورة تنازل وتخلي الأفراد عن حريّاتهم وحقوقهم لصالح الإرادة العامَّة، وهذا التنازل عن الحقوق يؤدي الى الإتحاد والقوة، أي كلَّما تنازل الفرد أكثر أصبحت الجماعة أكثر قوة. وان الشعب هو المصدر الأول والأخير للسلطة السياسية وهذه الأخيرة هي انعكاس للإرادة العامَّة ولا يمكن للدولة أن تكونَ متسلِّطة بل تسعى لتحقيق المصلحة العامة، وتتميز السلطة بخاصيتين: السلطة فوق الجميع، والسلطة ممثلة للجميع[1].

ثالثا: المرحلة الثالثة / النشأة والاستقلالية العلمية لعلم الاجتماع

يرجع كثير من الباحثين تأسيس علم الاجتماع إلى أوجست كونت نظرا لكونه أول من صاغ مصطلح"sociologie"، "استخدم كونت في البداية مصطلح الفيزياء الاجتماعية، لكن وجد أن كيتليه سبقه في استعمال هذا المصطلح في دراسة احصائيات السكان، ولهذا فضل ابتداع اسم جديد يضم في شقه كلمة "علم" لأن كونت أراد دراسة المجتمع بأسلوب تجريدي، باستلهام مبادئ علوم الطبيعة من خلال مبدأ المماثلة البيولوجية لأجل دراسة وظائف المجتمع، وأيضا استخدام تقنيات التحليل من العلوم الدقيقة"[2]، ويُعد كونت ابن الفلسفة الاجتماعية التنويرية التي ازدهرت في أواخر القرن الثامن عشر، كما أنه قد عاش مرحلة الفوضى التي خلفتها الثورة الفرنسية وعايش الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي واجهت الإمبراطورية الفرنسية أنذاك.

وعليه فإن النشأة الغربية لعلم الاجتماع التي جاءت على يد أوجست كونت ارتبطت أشد الارتباط بظروف التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري التي مرّ بها المجتمع الأوروبي، ويمكن القول أن علم الاجتماع الغربي بكافة فروعه قد تطور استجابة للتطورات والمشكلات الاجتماعية في مرحلة الانتقال من النظام القديم الى النظام الجديد[3]، وبالتالي الدافع

1- ف.جون رايت، المرجع نفسه، ص21.

2- José، Mariette، opcit ، p 18.

3- محمودة، عودة، مرجع سبق ذكره، ص 71.

الأساسي لإنشاء علم الاجتماع عند كونت، هو رغبته في إصلاح المجتمع الفرنسي المتسم بالاضطراب والفوضى التي تفاقمت في مجتمعه.

لقد حاول كونت البحث عن أسباب تلك الفوضى، فتوصل إلى فكرته الشهيرة في تفسير تلك الأوضاع، وهي أن الفوضى الفكرية السائدة في تفسير المفكرين للمجتمع وأحداثه هي سبب الفوضى السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الواقع المعاش، فالتغير عنده ينتقل من الفكر إلى المادة، والفكر هو أساس كل صلاح أو فساد في المجتمع، **ويرجع هذا الخلل الفكري الذي عايشه إلى أن المفكرين ينتهجون منهجين مختلفين في تفسيرهم لكل من الظواهر الاجتماعية والظواهر الطبيعية، فهم يسلكون منهجا علميا وضعيا دقيقا في علوم الطبيعة للكشف عن قوانينها وعلاقاتها، بينما لا يسلكون المنهج نفسه في الظواهر الاجتماعية ويفسرون الظواهر الاجتماعية بالرجوع الى القوانين اللاهوتية بعيدا عن الموضوعية والدقة**. وقد وجد كونت أنه لا فائدة في علاج الفوضى الفكرية، إلاّ إذا خضعت الظواهر الاجتماعية للمنهج العلمي المتبع في الظواهر الطبيعية، واخذ على كاهله فكرة إنشاء علم جديد الذي سيؤدي هذا الغرض[1].

تأتي المساهمة الثانية على يد إميل دوركايم الذي تأثر بأوجست كونت من حيث الفلسفة الوضعية التي انطلقا منها و المنهج المتبع، ويتبدى هذا بوضوح في تأكيده على أنه علينا دراسة الحياة الاجتماعية بروح موضوعية وواقعية مثلما يفعل العلماء عند دراستهم للعالم الطبيعي، كما يتضح في المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية في إطار وظيفي. وكان المبدأ الذي وضعه لعلم الاجتماع هو "**دراسة الحقائق والوقائع الاجتماعية باعتبارها أشياء**"، إن الهم الفكري الرئيسي لعلم الاجتماع لدى دوركايم هو دراسة الحقائق الاجتماعية. ولعل من أهم ما تميز به البحث السوسيولوجي الدوركايمي اهتمامه بتحديد وتعريف الظاهرة الاجتماعية وخصائصها بوصفها الموضوع الرئيس لعلم الاجتماع، "وفي هذا حدد لها عددا من الخصائص التي يفيد التركيز فيها في معرفة موقفه من علم الاجتماع[2].

[1]- أحمد رأفت عبد الجواد، مرجع سايق ص13.

[2]- عبد الباسط عبد المعطي، **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**، عالم المعرفة، بيروت، 1981.

، ص 101

المحور الثالث: الرواد المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع

المؤسس والرائد عبد الرحمن ابن خلدون 1332-1406

تمهيد:

برز ابن خلدون كعالم اجتماع مبدع وفيلسوف ومؤرخ وأديب في القرن 14م ، وقد تعالت مكانته وشهرته بعد قرون من وفاته، حيث كان له السبق في تأسيس علم الاجتماع قبل علماء الغرب بأربعة قرون، عندما كتب مؤَلَفهُ الضخم المعنون بـ "**كتاب العبروديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**"، وقد عرفت مقدمة هذا الكتاب شهرة وانتشارا أكثر من الكتاب نفسه، نظراً لما جاء فيها من أفكار وتحليلات اجتماعية فذة سبقت عصرها، حيث عالج قضايا المجتمع والقوانين التي تحكم سيره، في حقل علمي جديد أطلق عليه "علم العمران البشري" وهو ما يُعرف اليوم بعلم الاجتماع، غير أن هذا الجهد الذي بذله ابن خلدون لم ينصفه أهله به ولم يوضع قيد التطبيق والاستمرارية، لأنه جاء في مرحلة سقوط الحضارة الإسلامية العربية وازدهار الحضارة الغربية، وبقي طي النسيان إلى حين تطورت العلوم الغربية وأخرجت أعمال ابن خلدون إلى النور بعد ترجمتها الى اللغات الأجنبية، فأدرك العرب والمسلمون قيمة الإرث المسترجع بعد قرون.

في هذا الدرس نتناول الجوانب الهامة التي تبين مساهمة ابن خلدون في نشأة علم الاجتماع، وذلك بالتطرق الى حياته وسيرته الذاتية، ودورها في تكوين شخصيته كعالم اجتماع سابق لعصره، ثم نتطرق الى أسس علمه الوليد ونظرياته المستحدثة وعلاقته بعلم الاجتماع الغربي الحديث، وهدفنا من كل ذلك هو تزويد الطلبة بالمعلومات الأساسية التي تكشف أحقية ابن خلدون بأولويته في تأسيس علم الاجتماع، واطلاعهم على مساهماته في وضع البذور الأولى للمنهج العلمي في دراسة المجتمع.

أولا: التعريف بالعالم عبد الرحمن إبن خلدون

يُعرِّف ابن خلدون نفسه أنه عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين الحضرمي، لُقب بولي الدين حينما تولى منصب قاضي قضاة المالكية في مصر، أما "الحضرمي" فيرجع الى أصل يماني من قبيلة حضرموت يتصل نسبها إلى الصحابي وائل بن حجر، اشتهر بـ"ابن خلدون" نسبة إلى أول أجداده الذي دخل الأندلس واستقر بها وأصبحت عائلته من أعيان إشبيلية[1]، وفي أوائل 700 هجري انتقلت الى تونس نظرا للاضطرابات التي لحقت بالأندلس، فحضي جديه الأول والثاني بمناصب في الدولة الحفصية بتونس[2]، وهذا ما يبين عراقة عائلة ابن خلدون في العلم والسياسة، مما كان لها الأثر في تكوين شخصيته الشغوفة بالعلم والسياسة والسلطة.

[1]- علي عبد الواحد وافي، **مقدمة ابن خلدون**، دار الشعب،القاهرة، 1950، ص 387.

[2]- الجيلاني بن التوهامي مفتاح، **فلسفة الإنسان عند ابن خلدون**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011 ص 16.

ولد ابن خلدون في كنف هذا الحسب والنسب في سنة 732 هجري الموافق لـ1332 ميلادي، نشأ وكبر في حجر والده الذي أحسن تأديبه وتعليمه، حيث تعلم فقه اللغة وحفِظ القرآن وتعلّم مبادئ الدين في أسرته، وبعدها تتلمذ على يد كبار علماء عصره، فدرس عنهم العلوم الشرعية واللغة العربية والعلوم الطبيعية والرياضية وعلوم المنطق والفلسفة والعلوم العقلية بكل فروعها، "حيث يقول عن تعليمه "كان من حضي أن حفظت القرآن في التاسعة من عمري وأمضيت بعد ذلك خمس سنوات في شغل نفسي بفقه اللغة وبقواعدها والنثر والشعر واشتقاق الكلمات ودراسة المؤلفات المتعلقة بالحساب، وفي الرابعة عشر طرقت دراسة علم الفلك وعلم التنجيم بالرمل وهندسة إقليدس، آخذا عن الطرائق المختلفة لأساتذة مدرسة البصرة واليونان القدماء والمحدثين والهنود"[1].

وقد تغير المسار العلمي في حياة ابن خلدون الذي رسمه مع والده، بعد وفاة والديه ومعظم أفراد عائلته وأساتذته بسبب وباء الطاعون الذي حلّ في عصره، فاتجه الى الجمع بين مجال العلم والمعرفة ومجال الوظائف العامة في الدولة وخوض غمار السياسة، فتولى عدة وظائف وارتحل بين عدة أماكن في رحلة حافلة بالحوادث والمغامرات نلخصها فيما يلي.

ثانيا: سيرته وتنقلاته

كانت مسيرة ابن خلدون الحياتية حافلة بالتغيرات المتوالية، حيث انتقل بين بلدان المشرق والمغرب وشغل وظائف عديدة ، فأول وظيفة تقلدها كانت "كتابة العلامة" عندما استدعاه الوزير محمد تافراكين سنة 751هـ الذي كان مستبدا بالحكم على الدولة بتونس، ولما سقط حكم تافراكين ترك ابن خلدون تونس واتجه إلى بلاد الجزائر حيث تزوج هناك في مدينة بسكرة ورحل مع أهله الى قسنطينة[2].

في سنة 755هـ هاجر الى فاس وتولى وظيفة "الكتابة والتوقيع"، وكان عمره 22 سنة، علماً أن هذا المنصب لا يعتليه إلاّ كبار الكتاب، وقد تميز ابن خلدون بأسلوبه الجديد الذي يتصف بالوضوح والسهولة والتعبير الدقيق عن الحقائق وقوة الدليل وترابط الأفكار واختيار المفردات والتراكيب السليمة والتخلص من قيود اللغة التي كان النثر العربي مكبلاً بها، بالتالي فقد ساهم ابن خلدون في نهضة النثر العربي بفضل أعماله ومؤلفاته الكبيرة[3].

ارتحل ابن خلدون الى الأندلس سنة 764هـ، فكلفه السلطان بالسفارة لإتمام عقد الصلح بينه وبين ملوك الغرب إلاّ أن خصومه أوقعوا بينه وبين الوزير فانتقل الى بجاية سنة 766هـ، حيث أصبح مقربا الى السلطان في تسيير وتدبير أموره السياسية، كما أصبح خطيبا ومدرسا بجامع القصبة[4]. فجمع ابن خلدون بين أرقى مناصب الدولة ومراتب العلم، لكن الأوضاع الغير مستقرة التي عرفتها المنطقة أنذاك دفعته الى الابتعاد والخلوة.

وفي كل مرة كان ابن خلدون يلبي دعوة السلاطين له فاتجه الى تلمسان 774هـ، ثم عاد الى فاس حيث تفرغ للعلم والتدريس، وبعدها عاد الى الأندلس 776هـ للعزلة والاستقرار طلبا للعلم، غير أن الأحقاد السابقة جعلته يرجع الى تلمسان في

[1]- حامد، خالد، مدخل الى علم الاجتماع،ط3 جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015. ص 59.

[2]- علي عبد الواحد وافي، مرجع سبق ذكره، ص 289.

[3]- المرجع نفسه، ص 289.

[4]- حامد خالد، مرجع سبق ذكره، ص60.

نفس السنة، واستقر في قلعة بني سلامة ومكث فيها مع عائلته أربعة أعوام، حيث تفرغ فيها لمشروعه العلمي المتمثل في تأليف "كتاب العبر" الذي اشتهر باسم "المقدمة" وكان ذلك بين سنة 776هـ و780هـ[1].

كان ابن خلدون حينئذ في نحو الخامسة والأربعين من عمره، وقد نضجت معارفه واتسعت دائرة اطلاعه وارتقى فكره، واستفاد من تجاربه ومشاهداته في شؤون الاجتماع الإنساني بعدما قضى نحو ربع قرن في مجال السياسة دارسا لأمورها ومستقصيا سيرها وأخبارها، كما أن تنقلاته بين القبائل جعلته قادرا على استكشاف طبائعها وخصائصها، وما ساعده في ذلك فكره النير وملاحظته الدقيقة وتحليلاته الموضوعية، مما جعله يتعمق في ملاحظة الظواهر واستكشاف أسبابها والبحث عن القوانين الي تحكمها، ولهذا جاءت مقدمته إنجازا كبيرا في مجال البحوث الاجتماعية[2].

بعد الفترة التي تفرغ فيه ابن خلدون للعلم وقدم إنجازه الكبير لم تعد لديه رغبة في الوظائف الحكومية والعمل السياسي، ففي سنة 784هـ استدعاه سلطان تونس للاستعانة به في شؤون السياسة والحرب، لكن ابن خلدون تحجج برغبته في السفر الى مكة للحج وغادر الى مصر، حيث حضي باستقبال مميز نظرا لما له من صيت في العلم والسياسة، بالإضافة الى ما عُرف عن مصر بحمايتها للعلماء، فأتيح له إلقاء دروسه ومحاضراته في الجامع الأزهر، ثم عينه سلطان مصر في منصب تدريس الفقه المالكي سنة 786هـ، وفي نفس السنة ولاه منصب قاضي قضاة المالكية، فبذل جهده في إصلاح القضاء ومحاربة الفساد لكن خصومه كانوا يترصدون له فعُزِل وعاد تولي المنصب لستة مرات، أثناء هذه الفترة التي قضاها في مصر انتقل الى الحجاز ودمشق وفلسطين ثم استقر في مصر الى حين وفاته سنة808هـ الموافق لـ 1406 ميلادي[3].

ماذا نستخلص من السيرة الذاتية لابن خلدون؟ أنه كان شخصا متميزا بارزا في عصره، فمنذ صغره تميز بحكمته ونبوغه في العلم وحنكته السياسية وكفاءته في تولي المسؤولية وتسيير شؤون الحكم، بالإضافة إلى تنقلاته وأسفاره بين المشرق والمغرب وانخراطه في الحياة العامة ومعايشته للمجتمعات، كل ذلك زاده اطلاعا واستكشافاً لطبائع وأحوال الناس، وجعله يكتسب خبرة وقدرة على فهم الوقائع وتحليها بمنطق موضوعي ووصفها كما هي حقيقة دون مزايدات فلسفية أو أحكام أيديولوجية، وهذا يعد تميزاً وامتيازاً له كمفكر فذ بمقاييس العلماء العصريين مقارنة بالمفكرين الاجتماعين في عصره، مما جعله رائدا في إخراج التفكير الاجتماعي من حالة التأمل الفلسفي إلى رحابة التفكير العلمي وبناء أسس لعلم جديد هو علم العمران البشري المسمى حاليا علم الاجتماع.

ثالثا: إنجازاته وإسهاماته النظرية في علم الاجتماع

1/ علم العمران البشري:

قسم إبن خلدون العلوم الي علوم نقلية وأخرى عقلية هذه الأخيرة تعتمد على العقل والمنطق والشك في الاخبار، كما قدّم ابن خلدون إنجازات تجمع بين النزعة الفكرية والواقعية لأول مرة في تاريخ العلوم الاجتماعية، وذلك من خلال الجمع بين أسلوب التدوين والتحليل وبين أسلوب ملاحظة الواقع بمنهج تميز بالدقة والموضوعية والشمولية، لأجل استخلاص القوانين

[1]- علي عبد الواحد وافي، مرجع سبق ذكره، ص 289.

[2]- المرجع نفسه، ص 289.

[3]- حامد خالد، مرجع سبق ذكره، ص 62.

التي تحكم سير المجتمع، مشكِّلاً بذلك الأسس القاعدية للمنهج العلمي في دراسة المجتمع، كما حدد الظواهر الاجتماعية (ظواهر العمران) على أنها موضوعا للعلم الجديد المستقل عن العلوم الأخرى، وقد أطلق عليه إسم "علم العمران البشري" أو "الاجتماع البشري"، وبين ذلك في كتابه "المقدمة" قائلاً: "وكأن هذا العلم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل وهي بيان ما يلحق به من العوارض الذاتية وهذا شأن كل علم من العلوم"[1].

لقد توصل ابن خلدون بفضل تحليلاته العميقة لشؤون الاجتماع الإنساني إلى أن الظواهر الاجتماعية لا تختلف عن بقية ظواهر الكون وأنها محكومة بقوانين طبيعية تشبه القوانين التي تحكم ظواهر الفلك والطبيعة والحيوان والنبات، ومن ثم رأى أنه من الواجب أن تدرس ظواهر المجتمع دراسة وضعية كما تدرس ظواهر العلوم الأخرى، وهذا المبدأ عرف لاحقا عند علماء الاجتماع الغرب بمبدأ "التماثل العضوي"، فيقول في "الباب السادس للمقدمة" أن علم العمران هو النظر في المقادير وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية، هنا يتضح أن ابن خلدون درس الظواهر الاجتماعية بنفس مناهج العلوم الدقيقة، بالتالي استخدم مصطلحا مهما في تحليلاته الاجتماعية وهو مصطلح "العوارض الذاتية" ويقصد بها "القوانين والقواعد" التي تحكم المجتمع[2].

كما بين إبن خلدون أن دراسة ظواهر الاجتماع بالأسلوب العلمي الذي اتبعه، لم يسبقه إليها أحد بعدما فرق بينه وبين العلوم الأخرى، ومن خلال عرض مختصر لكتاب المقدمة ستتضح الصورة أكثر.

2/ كتاب المقدمة:

تعد "المقدمة" أكبر إنجاز قدمه ابن خلدون في مجال دراسته للاجتماع البشري، وهي جزء من "كتاب العبر" وقد قسّم ابن خلدون هذ المؤلف الى ثلاثة كتب، الكتاب الأول بدأه بمقدمة عامة مطولة وأتبعها بخمسة مقدمات كلها في الكتاب الأول والمقسم بدوره إلى ستة أبواب، وهنا نحاول أخذ لمحة مختصرة عن مضمونها مع التركيز على الأفكار الأساسية، من أحد الكتب المنشورة التي تلخص لنا كتاب المقدمة.[3]

المقدمة العامة: جاءت كتمهيد عام للكتاب وتناول فيها "فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها

- **الباب الأول: في العمران البشري على الجملة، ويستعرض فيه أهمية الاجتماع وضرورته**

استعرض فيه أهمية الاجتماع الإنساني وضرورته، وتحدث في لمحة جغرافية عن الأقاليم ومناخها وطبيعتها، ثم ذكر أثر الطقس في التكوين الفسيولوجي والسلوك الأخلاقي، وأثر البيئة الإقليمية في الحياة الاجتماعية ككل، وهذا الفرع درسه "إميل دوركايم" فيما بعد كفرع من علم الاجتماع أطلق عليه "المورفولوجيا الاجتماعية"، ومن الأفكار البارزة لابن خلدون في هذا الباب نجد:

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون. **المقدمة**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص308.

[2]- ساطع الحصري، **دراسات عن مقدمة ابن خلدون**، دار المعارف، مصر ، 1953، ص 297.

[3]- محمد عواد، **كتاب تأملات ملخص مقدمة ابن خلدون** ، موقع الكتب،https://foulabook.com/ar/book ، ص7

✓ **أن الاجتماع الإنساني ضرورة** وأن الانسان مضطر للتعاون مع بني جنسه لتأمين المعاش والإستعانة بهم لدفع العدوان.

✓ **القسر الاجتماعي والتقليد:** تحدث عن الضبط الاجتماعي الذي يفرضه المجتمع على الأفراد وآثاره عليهم في السلوك، فالإكراه الاجتماعي يتأتى من الدولة وطبيعتها وأن الحوادث الاجتماعية هي نوع من "التقليد الطوعي.

✓ **المناخ له أثر كبير في تقدم الشمال على الجنوب**: بين أسباب التطور في القسم الشمالي من الأرض وقلته في القسم الجنوبي من الكرة الأرضية، وأثر البيئة من الطقس ونوع الطعام على الطباع والسلوك الإنساني، وقد فسره العلماء حاليا بأن المركبات الغذائية تؤثر على عمل الدماغ فتخلق التوتر أو الهدوء.

– **الباب الثاني: العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الأحوال:** استعرض فيه المميزات الأخلاقية والاجتماعية لأهل البادية، وأسبقية حياة البداوة على الحضارة، كما ذكر ما يمتاز به البدو من شجاعة على أهل الحضر، وتحدث عن نشأة "العصبية" واحتفاظ البدو بأنسابهم وكيفية اختلاط الأنساب ودور العصبية القبلية في الحياة الاجتماعية والسياسية وظروف انحطاطها وضعفها وأسباب انهيار الأمم ودور القبائل العربية في الميدان السياسي، وهذا القسم من أهم أقسام المقدمة قدم فيه ابن خلدون عدة نظريات حول المجتمع ومن أهمها:

✓ **التسلسل في بناء الأمم والحضارات**: أي ضرورة التدرج من مرحلة الأساسيات كالأمن الغذائي ثم الملبس والمسكن، وبعدها مرحلة الكماليات كالزينة ومظاهر الرفاهية والترف.

✓ **الاجتماع نوعان**: الأول مجتمع البدو سابق من حيث النشأة يركز أهله على الضروريات كالفلاحة والرعي وهم اهل الخير وكرم وشجاعة لأنهم أقرب الى الفطرة، والثاني مجتمع حضري حياته في المدينة التي تتميز بالصنائع والحرف وأهلها أكثر ميلا للكماليات واتكالا على الدولة لتوفير الأمن.

✓ **العصبية أساس قيم الدولة وزوالها**: لابد للدولة من عصبية تشد أزرها، ومصدرها قرابة الدم والنسب أو الولاء. وأن الإفراط في الترف يخرب الدول.

✓ **من أهم مقومات الملك خدمة المصلحة العامة**: ويعبر عن ذلك بـ التنافس في الخصال الحميدة ويدخل في ذلك تجنب الخداع والمكر، والمحافظة على العهد، وإكرام رجال العلم والدين، والعدل بين الرعية.

الباب الثالث: في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية: يتحدث فيه عن مراحل تأسيس الدولة ونموها وانتقالها من الضعف إلى القوة ثم إلى الضعف مرة أخرى، ثم يتحدث عن اختصاصات رئيس الدولة (الخليفة والسلطان)، وعن نظام البيعة وولاية العهد والتنظيم المالي والعسكري والسياسي، ثم انهيار الدولة.

- **الباب الرابع: عمران المدن والأمصار**: عرض هنا الظواهر المتعلقة بطريقة التجمع الإنساني، والنظم التي يسير عليها المجتمع، واستقرار الدولة، وعن بناء المدن وأسواقها وأسعارها وتطور حضارتها وخرابها [1].

- **الباب الخامس: في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع**، تحدث فيه عن الظواهر الاقتصادية وحاجة السكان إلى ابتغاء الرزق والسعي فيه وأنواع المعاش من تجارة وفلاحة وصناعة ومهن، وعن تطور الصنائع واضمحلالها ومختلف شعبها.

[1]-نفس المرجع، ص ص 20-24.

- **الباب السادس: طرق التعليم وأصناف العلوم**، وهو أطول أقسام المقدمة، وفيه يتحدث عن طرق التعليم المتعارفة في عصره، ويدلي بآرائه، ويتحدث عن تطور مختلف أنواع العلوم من دينية وطبيعية ورياضية وأدبية.[1]

وعليه نستخلص أن ابن خلدون عرض المقدمة كعمل تضمن تأسيس فروع علمية متعددة منها علم التاريخ وعلم الاجتماع، علم السكان والإيكولوجيا البشرية، علم التربية، فقد جاء في المقدمة فضل التاريخ وتحقيق مذاهبه، ومن جهة أخرى وضع ابن خلدون أسس دراسة المجتمعات في إطار علم جديد ذو فروع متعددة، مركزا على ضرورة دراسة الظواهر والوقائع الاجتماعية دراسة علمية تحليلية مع استخلاص ما تخضع له من قواعد وقوانين، مشيرا إلى أن طبيعة علم العمران مثل باقي علوم المادة والطبيعة، ثم جاءت تحليلاته للمجتمعات التي عايشها والتي زارها أو قرأ عنها، حيث استفاد من خبرته ومشاهداته الشخصية لشون الاجتماع وأمور السياسة والاقتصاد وساعده في ذلك موهبته في الربط بين الأحداث وأسبابها وفق منهج علمي لم يسبق لأحد من قبله أن عالج قضايا المجتمع بهذه الطرق.

رابعا: المسائل الأساسية في علم الاجتماع الخلدوني

1/ العصبية ومراحل تطور الدولة:

استخدم ابن خلدون مصطلح العصبية واعتبره موضوعا لدراسة شاملة وعميقة للمجتمعات، حيث استعرض خصائصها وأشكالها وصورها المختلفة وأصولها وتتبع الأدوار التي تلعبها في حياة المجتمعات والدول بوجه خاص، كما أنه بيّنالجوانب المعنوية الفكرية والإيديولوجية والدينية، ودورها الإيجابي في التماسك والتقدم الاجتماعي والحفاظ على كيان الدولة، وخاصة العقيدة الدينية.

لقد جعل العصبية أساس الاجتماع الإنساني **ويقصد بها**: الشعور الذي يحس به الأفراد تجاه من يرتبط بهم، كالنسب وما تقتضيه عوامل الجوار والحلف والولاء، التي تدفع بأصحاب هذه العصبية بالذود عنها ضدما قد يهددها من اعتداء أو ظلم..... فهي أساس الحفاظ على كيان الدولة وتماسك قوتها واستمراريتها فهي أساس التغلب والتغلب أساسا الحكم[2].

أ- **أصولها**: يرجع ابن خلدون مصدر العصبية إلى الطبيعة البشرية وإلى أثر القرابة في الحياة الاجتماعية أي ذوي القربى والأرحام، فتجمعهم نزعة طبيعية وتدفعهم الى التعاون والتساند والحمية والتناصر والاتحاد والالتحام بينهم مما يجعلهم يشتركون في دفع العدوان وتأييد أنسابهم.

أصول أخرى: قوة العصبية تختلف باختلاف درجة القربى فحدد ابن خلدون العصبية للنسب الخاص أي "الرحم"، والعصبية للنسب العام ويقصد بها "النعرة"، بالإضافة الى الانتماءات الأخرى التي تجمع بين الأفراد والجماعات مثل "الأحلاف" و"الولاء"، ويرى ابن خلدون أن الأنساب تسقط من شعب لشعب ويلتحم قوم بآخرين ولهذا يوسع مفهوم العصبية من النسب الى الحلف

[1] - عبد الرحمن ابن خلدون، مرجع سبق ذكره.

[2]- خالد حامد، مرجع سبق ذكره، ص 67.

والولاء، ويصبح معنى الالتحام إنما هو العِشرة والمدافعة وطول الممارسة.وقد بين أن العصبية في البدو أكثر قوة لأن النسب فيها يبقى محفوظا وصريحا بينما في الحضر فالعصبية ضمنية غير صريحة أي تتشكل بالحلف والولاء ويرجع ذلك لسببين:

- أن حياة البداوة يميزها الاعتزال وعدم اختلاط الأنساب، لأن البادية مكان الشظف والفقر ولا يشاركهم فيها الناس عكس المدينة

- أن حالة الاعتزال تلك تقتضي الدفاع عن الأهل والشجاعة لهذا تبقى العصبية لأهل نسب واحد

وعليه نستنتج هنا أن العصبية هي أشكال التضامن الاجتماعي في مختلف المجتمعات البدوية والحضرية ولديها أدوار مهمة وهي:

ب- دور العصبية في المجتمع:

- العصبية تحمل الأفراد على التناصر والتعاضد في الدفاع والحماية، وضرورية في أمور يجمع الناس عليها كالنبوة وإقامة الملك أو الدعوة، لأن الملك والحكم يحصل بالتغلب ولابد من العصبية التي تكافح للانتصار.

- العصبية أساس قيام الدول لأن الناس لا ينقادون إلاّ بوجود قوة تسودهم وتكون قوة العصبية في البداية قوية، أي أن العصبية ضرورية لتأسيس الملك والدولة لكنها تنحصر في دور التأسيس والتمهيد.

- أن المطالبات والمدافعات كلها لا تتم إلاّ بالعصبية وبها تحفظ الحقوق والامتيازات للأفراد والجماعات[1]

- أن صراع العصبيات أساس بناء الدول، ويكون الصراع على المستوى السياسي والاقتصادي وحتى على الجاه والمكانة الاجتماعية ويكون في البداوة بين القبائل والحضر بين الأفراد والجماعات على الحكم[2].

ج- مراحل تطور الدولة: توصل ابن خلدون من خلال دراسته للدولة الإسلامية أنذاك الى قانون اجتماعي يحكم سير وتطور المجتمعات البشرية وهو قانون الأطوار الثلاث لتطور المجتمع، أي أن نظرية ابن خلدون القائمة على الصراع الاجتماعي تعتبر أنا لوجود الإنساني يمر عبر مراحل تبدأ بالميلاد وتسير نحو النضج والاكتمال ثم الشيخوخة، ومنه يشبه تطور المجتمع بنمو الفرد، فمرحلة الطفولة عند الفرد يشبهها بمرحلة نشأة الدولة وهي "البداوة' ، ثم مرحلة الشباب والنضج يقابلها في المجتمع مرحلة "التحضر" ثم مرحلة الشيخوخة تقابلها مرحلة الانهيار والزوال[3].

وقد اهتم "ابن خلدون" بدراسة حركة تطور المجتمعات ووجد أن هناك تشابها بين تطور المجتمع وتطور الكائن الحي الذي يبدأ بالميلاد كالطفل ثم يشب وينمو ثم يضمحل. إن ما يمكن استنتاجه أن هذه النظرة تعكس حقيقة الحياة السياسية في العالم الإسلامي بصورة عامة، التي بلغت فيها الأمة الإسلامية حالة من الوهن والضعف والصراع والتشرذم انتهت إلى استعمارها. وفي مجال تطور المجتمعات، يرى أن الدولة تمر بالمراحل التالية:

أ - حالة البداوة تكون فيها القبيلة هي الوحدة الأساسية، ويقوم تماسكها على أساس العصبية.

1- ساطع، الحصري، مرجع سبق ذكره، ص ص 334- 338.

2- عيسى، إبراهيم عثمان،مرجع سبق ذكره، ص82.

3- زيدان عبد الباقي، **التفكير الاجتماعي- نشأته وتطوره**، مطبعة السعادة، القاهرة، 1981، ص205.

ب- حالة الملك عندما تقوى العصبية تزداد قوة الجماعة مما يشجعهم على الغزو والفتح وإقامة الملك، وبذلك يتطور المجتمع من حالة الرعبي والزراعة إلى حالة التحضر والعمران.[1]

وتلعب العصبية دورا رئيسيا في بناء وتطور المجتمعات فقد بين ابن خلدون أن للدولة أعمار طبيعية مثل أجيال البشر، وفي الغالب ثلاثة أجيال:

فالجيل الأول: يحافظون على عصبيتهم ويضلون على خلق البداوة وخشونتها من توحش وشظف العيش والشجاعة والاشتراك في المجد، فتكون قوتهم بشدة عصبيتهم واجتماعهم عليها وتكون لهم الرهبة والخضوع من المنتمين لهم.

الجيل الثاني: ينتقل من البداوة الى الحضارة ومن الشظف الى الترف ومن الاشتراك في المجد الى إنفراد الحاكم به مع كسل الأخرين على طلبه، وينغمسون في الرفاه والرذائل هنا تبدأ قوة العصبية تتراجع تدريجيا.

الجيل الثالث: هذا الجيل ينسى عهد البداوة والخشونة كليا لأنهم لم يعايشوها أساسا في حياتهم، ويستغنون عن العصبية ويصيرون كباقي المنتمون للدولة، ولا يهتمون بالدفاع على عصبية الحاكم فيضطر هذا الأخير الى اللجوء الى غير أهله لنجدته ويستكثر بالموالي والمصطنعين والمنشدين بمجد الحاكم رغم ضعفه، حتى يأتي من هو أقوى منه فينهار حكمه ويأتي عهد الانحطاط والزوال.[2]

2/ أشكال العمران البشري:

عرّف ابن خلدون العمران أنه "العمران من العمارة والتعمير وهو التساكن والتنازل في مصر(بمعنى مكان)، أو حلة أو حلة للأنس بالعشير واقتضاء الحجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش" ومنه فإن كلمة عمران هي الاجتماع الإنساني، وقد قدم ابن خلدون العمران البشري كنظرية حيث قسم المجتمع الى قسمين بدوي وحضري وحدد خصائص كل منهما:

أ-**العمران البدوي**: يصف البدو أنهم أولئك الذين يجتمعون ويتعاونون فيما بينهم لتوفير الحاجات الضرورية لمعاشهم من القوت والمسكن والملبس بالمقدار الذي يحفظُ الحياة، وبالتالي فإن العمران البدوي هو نمط من الحياة المجتمعية الذي ينشأ ويعيش أفرادها في ظروف بيئية صعبة ويمارسون أسلوب إنتاج أولي بسيط يقتصر على الحاجات الأساسية والضرورية، يسكنون في مناطق نائية كالضواحي والجبال والقفار والصحاري، وتكون العصبية القبلية جد قوية لأن مصدرها قرابة دموية، وهي الرابط الذي يحافظ على بقائهم وتماسكهم وحمايتهم من العدوان، لهذا يتميز أهلها بالشجاعة والأنفة، كما أنهم أقرب الى الفطرة فيتميزون بالكرم والخير، ولهذا اعتبر ابن خلدون البدو اصل الاجتماع البشري.

ب- **العمران الحضري:** يرى ابن خلدون أن الحضر في الأصل هم سكان البدو، نتيجة اتساع حكمهم بالسيطرة على القبائل الأضعف فيصبح الحضر مجموعة من العصبيات المندمجة تحت مضلة العصبية الحاكمة وقائدة الملك ويعيش من هم تحت سيطرتها في ظلها حتى تأتي عصبية أقوى تتغلب عليهم بعدما تتلاشى العصبية الخاصة (عصبية النسب)، فالحضر هم سكان المدينة الذين اتسعت أحوالهم وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفاه، وتتميز المدينة بنمط عيش يركز على الصنائع والحرف والتجارة ويهتم أهلها بالكماليات والمظاهر ويندمجون في حياة البذخ والرفاه. وتلوثت نفوسهم بكل ملذات

[1]- خالد حامد، مرجع سبق ذكره، ص 67.

[2]- الحصري ساطع ، مرجع سبق ذكره، ص 244.

الحياة فانهمكوا في الترف وتظاهروا بالشهوات والمعاصي، كما يعتمدون على الدولة لحمايتهم وتحقيق الأمن، عكس اهل البداوة لا يعرفون الشهوات إلاّ عند الضرورات[1].

3/ - منهجية ابن خلدون والأسس العلمية التي قامت عليها نظريته:

- اهتم ابن خلدون بدراسة الأحداث التاريخية وفق منهج التدقيق والتمحيص والشك في الأخبار، وقدم دراسة للمجتمع مشيرا إلى أن المجتمع يمر بثلاث مراحل تاريخية متباينة ومتصلة ببعضها، وكل مرحلة لديها خصائص تميزها، حيث شبه أطوار الدولة بأعمار الأشخاص الطبيعية.
- قسم المجتمعات إلى نمطين رئيسيين وحدد خصائص كل منها وفقا لدرجة تقدمها الحضاري والاقتصادي والثقافي، أطلق على الأول المجتمع البدوي والثاني المجتمع الحضري.
- اعتبار الاجتماع الإنساني ضروري لان الإنسان مدني بطبعه، مبرزاً مبررات الاجتماع في أن عدم كفاية الفرد لنفسه يدفعه إلى التعاون والاشتراك في حياة الجماعة، وهذا هو مبدأ دراسة الظاهرة وفق مبدأ السببية.
- دراسة الظواهر الاجتماعية بعناصرها ووظائفها وتطورها ومن ثم اكتشاف القوانين التي تخضع لها.

[1]- كرابية أمينة،.(**المجتمع البدوي ودوره في نشأة العصبية عند ابن خلدون-دراسة تحليلية نظرية للمقدمة**)، **أفاق فكرية**، المجلد 5، العدد 10، الجزائر: جامعة عبد الحميد ابن باديس، ماي 2019، ص135.

أوغيست كونت 1798-1857

تمهيد:

تنسب نشأة علم الاجتماع كعلم مستقل عن الفلسفة إلى العالم الفرنسي أوغيست كونت، لكونه أول من صاغ مصطلح السوسيولوجيا sociologieفي نهاية القرن التاسع عشر، ويتكون هذا المصطلح من لفظين في اللغة اللاتينية " socios" وتعني المجتمع و"logos" تعني دراسة، لتصبح كلمة سوسيولوجيا تعني دراسة المجتمع أو علم الاجتماع، وقد اهتم "أوغيست كونت" كمفكر وفيلسوف في بداياته الأولى بالأوضاع الاجتماعية المضطربة التي عرفها المجتمع الأوروبي، وحاول من خلال دراسة المجتمع وضع أسس علمه الجديد الذي أطلق عليه في بادئ الأمر (الفيزياء الاجتماعية) ثم غيّره تجنبا لتكرار هذا الاسم الذي سبقه إليه (كيتليه) وفضل تسميته بـ"علم الاجتماع".

أولا: التعريف بأوغيست كونت وظروف نشأة علم الاجتماع

1/ نسبه وسيرته:

ولد أوغيست كونت بمدينة "مونبيليه" الفرنسية لوالدين كاثوليكيين، إلتحق بمدرسة الفنون التطبيقية بباريس عام 1814م، واصل دراسته إلى أن عُين معيدا في مدرسة الهندسة، في سنة 1817 ثم عمل سكرتيرا للفيلسوف سان سيمون وساعده في اخراج أبحاثه ومؤلفاته متأثراً بفلسفته[1]، مما جعله متحمسا لإصلاح المجتمع معتبرا أن وجهة الفلسفة الحديثة يجب أن تتّجه نحو تحسين النوع الإنسانيّ خُلقيّاً وسياسيّاً، حاول كونت أن ينزل بفكر فلاسفة الانوار الى الواقع، حيث اعتبر أنّ الظواهر الاجتماعيّة يمكن أن تدرس بطرق علميّة، وكان بذلك أوّل من وضع الأسس لدراسة الظواهر الاجتماعية علميّاً، ووجوب إيجاد علم يتفرغ لدراستها اطلق عليه السوسيولوجيا، خصّص كونت لهذا العلم جزءاً من كتابه الذي وضعه بعنوان دراسات في الفلسفة الوضعية[2]

وفي عام 1826م بدأ بإلقاء سلسلة من المحاضرات العامة في الفلسفة الوضعية، ثم أصيب بمرض عقلي جعله ينقطع عن مواصلة محاضراته، ثم عاد ما بين 1830 – 1843م إلى إلقاء محاضراته التي كان قد انقطع عنها، وفيها قدم تصوراته للمعرفة والعلوم، وحاول من خلالها وضع أسس علمه الجديد.

ما نستخلصه من السيرة الذاتية لأوغست كونت:

- ساهمت بيئته الأسرية والتربوية في بناء اتجاهه المحافظ الإصلاحي، مما جعله يقف ضد الثورات الانقلابية والفوضى الاجتماعية، حيث كان مناهضا للتغيير الراديكالي ومناصرا للنظام والاستقرار الاجتماعي مهما كلف المجتمع من طبقية.

[1]- عامر، مصباح، مرجع سبق ذكره، ص43.

[2]- Delas Jean-Pierre et Milly Bruno، op-cit ، pp 43-44.

- تشكل فكر أوغست كونت بفضل قراءاته الواسعة في العلوم التقنية والفلسفة والتاريخ واهتمامه بما جاء به المفكرين في عصره، بالتالي جاء فكر كونت وليد الأفكار التنويرية التي تشكلت مع فلاسفة العقد الاجتماعي في القرن 18 مثل سان سيمون مونتسكيو جون جاك روسو وكوندورسيه.

- الطابع المميز لأعماله المنظمّة تبين حجم وأهمية مشروعه العلمي، وجاء ذلك نتيجة المثابرة والجد التي تميز بها كونت بالإضافة الى تكوينه المتعدد المعارف بين العلمي التقني والفلسفي، لهذا تمكن من جمع وتلخيص كل ما جاء من تطورات فكرية في عصره حول دراسة المجتمع وإخراجها في شكل علم قائم على غرار العلوم الناشئة أنذاك.

2/ الظروف المؤثرة في تفكير كونت: كان تفكير "أوغيست كونت" إنعكاساً للأحداث المضطربة الناتجة عن الثورة الفرنسية، وحركة التصنيع المتنامي الذي أحدث تغيرات جذرية في أساليب الحياة التقليدية على مستوى الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وهي كالآتي:

- ✓ التغيرات السياسية تمثلت في قيام الثورات البورجوازية التي أطاحت بمؤسسات المجتمع القديم (الممثلة بالنظام الملكي، والكنيسة، والنظام الاقطاعي) وتبنت مفاهيم جديدة منها التأكيد على الحرية وحقوق الانسان والمواطنة في ظل الدولة الحديثة.
- ✓ بروز الفرد الفاعل كشكل مميز للمجتمع الصناعي والاهتمام به كمفهوم مركزي تمحورت حوله فلسفة الأنوار.
- ✓ سيادة الاتجاه الفكري النقدي واتساع العلوم والمعارف المرتكزة على المنهج العلمي للوصول للحقائق في كل مجالات حياة الانسان بما فيها العلوم الإنسانية والاجتماعية.[1]

ولهذا كان هدف أوغيست كونت من دراسة المجتمع هو الإصلاح وإيجاد الحلول للفوضى التي عمّت المجتمع، والمساهمة في حل المشكلات التي سببتها التغيرات على كافة الأصعدة، ومحاولة استرجاع الاستقرار والنظام الاجتماعي، وفي محاولته البحث عن الأسباب توصل الى أن الفوضى الاجتماعية سببها الفوضى الفكرية في تفسير الظواهر الاجتماعية، أي أن الظواهر الاجتماعية لازالت تعالج بأساليب وطرق تقليدية لا تتناسب مع التطورات والتحولات التي شهدها الانسان مع الثورة الصناعية، واقترح بذلك السير على المنهج العلمي المتبع في دراسة ظواهر الطبيعة، لأجل دراسة الظواهر الاجتماعية بنفس المنهج أي "المنهج العلمي"، ومن خلاله توصل الى وضع علم الاجتماع في مصاف العلوم الأخرى، لهذا يعتبر أوغيست كونت أب علم الاجتماع الحديث.

ثانيا: إسهاماته النظرية في علم الاجتماع

إن رؤية "كونت" لعلم الاجتماع كانت رؤية علمية وضعية، حيث يؤمن أن المنهج العلمي لدراسة المجتمع سوف يؤدي إلى التقدم المنظم للمعرفة الانسانية، ويوجه تركيزه للنظر إلى المجتمع كنظام مكون من أجزاء متداخلة تقوم بوظائف تؤدي الى تكامل واستقرار النظام الاجتماعي ككل، وقد توصل الى نظريات ومبادئ علمية لدراسة المجتمع أهما ما يلي:

[1]- حامد خالد. مرجع سبق ذكره ، ص 69.

1/النظرية الوضعية: هي تيار ضخم من الأفكار يستمد مصدره من عصر النهضة والفلسفة الاجتماعية منذ ق19، ويعتبر كونت ممثلا بارزا فيها، تنطلق النظرية الوضعية من دراسة المجتمع وفق المنهج العلمي المعتمد في باقي العلوم لأجل اكتشاف القوانين التي يسير عليها المجتمع، تعتمد النظرية الوضعية على رؤية واضحة مبنية على نظام من التصورات العلمية القائمة على الدقة والموضوعية والحياد العلمي وتطبيق المناهج الصارمة في دراسة المجتمع كما هي مستخدمة في العلوم الطبيعية، المتمثلة في التجربة الحسية وملاحظة الواقع والمحاكاة العقلية الدقيقة بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الطبيعية1، ومن ثم اكتشاف القوانين التي تحكم سير المجتمع الإنساني والتنبؤ بتطوراته، مع استبعاد النظام الفكري القديم القائم على التصورات اللاهوتية والميتافيزيقية، وقد بين كونت أسس التفكير الوضعي فيما يلي:

- "مبدأ المماثلة العضوية"، هذا المبدأ وليد الفكر التنويري، وتقومهذهالرؤيةعلى أن المجتمع يشبه في تشكيله الكائن العضوي من حيث المكونات ووظائف الأعضاء، وبالتالي يمكن دراسة المجتمع باتباع المناهج التجريبية المستعملة في علوم الطبيعة، أي يمكن دراسة المجتمع باستعمال المناهج الدقيقة والتجريبية التي تعتمد على الملاحظة والتجربة بالإضافة الى المنهج التاريخي، لكن كونت يدرك أن لكل مجال موضوعه الخاص فعلم الاجتماع يدرس المجتمع، إلاّ أن كل مجالات العلوم تنتظم تحت منطق واحد وتتحرك وفق منهج علمي يهدف الى كشف القوانين الشاملة للكون بما فيه سواءً الكائن الحي أو الكائن الاجتماعي، فالقوانين التي تسمح بالتحكم في العالم الطبيعي والتنبؤ بوقوعها، هي نفسها القوانين التي تحكم سير المجتمعات الإنسانية وساعد على رسم مخططات لتنظيم المجتمع والارتقاء بحالة الرفاه البشري[2]، بالتالي لابد من دراسة المجتمع بنفس المنهج أي المنهج العلمي.

- مبدأ "النزعة الجماعية"، بمعنى دراسة المجتمع ككل متكامل دون اعتبار لوزن الأفراد فيه، أي استبعاد الأفراد من الدراسة السوسيولوجية لعدم قدرتهم على التأثير في المجتمع، فالدراسة تنطلق من الكل الى الجزء. وقد استخدم كونت مصطلح "اللحمة" «consensus» وهي الوحدة التي تحكم الجسم الاجتماعي وتحقق الانسجام والتكامل بين مكوناته، من خلال أداء الوظائف الرئيسية المتمثلة في الصيانة والمحافظة على المجتمع وتوفير شروط إعادة بنائه لضمان استقرار واستمرار المجتمع، ويعتبر كونت أن اللحمة تتمثل أساسا في "الأسرة" فهي وحدة عضوية متماسكة غير قابلة للتفكك وتتجاوز الوجود الفردي لأعضائها، بمعنى أن الدراسة تنطلق من الأسرة لتفسير الظواهر الاجتماعية.[3]

- "الإجماع الأخلاقي" هذا المبدأ يدعم النزعة الجماعية، ويقصد به التوافق بينمكونات البناء الاجتماعي من حيث القيم والمبادئ والاعتقادات وخلق نظام يوحد ويُسيِّر المجتمع ويعزز أواصر العلاقات داخل المجتمع، رغم وجود التفاوت الاجتماعي واللامساوات بين الطبقات الاجتماعية، لأن الهدف الأسمى هو الحفاظ على استقرار المجتمع والمصلحة العامة حتى ولو تم تجاوز مصالح الأفراد، ولهذا فهو يؤيد وجود سلطة قوية تحكم بالقوة وترتكز على مبادئ العلم لأجل القضاء على الفوضى الاجتماعية.

[1] - Delas Jean-Pierre et Milly Bruno، op-cit ، p24.

[2]- أنتوني غيدنز، علم الاجتماع ، مرجع سبق ذكره، ص62

[3]- خالد حامد، مرجع سبق ذكره، ص70.

بمعنى وجود نظام أخلاقي سلوكي قائم على الاتفاق بين أعضاء البناء الاجتماعي، هذا النظام يُسيِّر المجتمع ويعزز أواصر العلاقات، وتقبل التفاوت الاجتماعي واللامساوات بين الطبقات الاجتماعية، لأن التنوع هو الذي يخلق التكامل بين وظائف البناء الاجتماعي بهدف الحفاظ على استقرار المجتمع ولو على حساب مصالح بعض الفئات، ولهذا فهو يؤيد ضرورة وجود سلطة صارمة تحكم بالقوة وترتكز على مبادئ العلم لأجل القضاء على الفوضى الاجتماعية. وأطلق عليه الاستسلام الحكيم لحقيقة اللامساواة الطبقية في المجتمع.[1]

2/ قانون المراحل الثلاث: يركز أوغست كونت على الفكرة القائلة بأن المجتمعات تتطور بطريقة ارتقائية تبعا لمراحل تطور الفكر الإنساني، أي أن الوجود الفكري يسبق الوجود المادي للظواهر، وبذلك حدد المراحل الثلاث التي يمرّ بها الفكر البشري وهي: المرحلة اللاهوتية مرورا بالمرحلة الميتافيزقية حتى المرحلة الوضعية أي أن إدراك الإنسان لمختلف الظواهر المحيطة به يكون حسب التطور الفكري الذي أدى الى تطور المجتمعات على مراحل ثلاث أساسية وأطلق عليها قانون المراحل الثلاث وهي:

أ- **المرحلة اللاهوتية:** هي مرحلة كان يسودها التفكير الخرافي والأسطوري الذي يوظف التصورات والخيال والاعتقادات الدينية لتفسير الظواهر الكونية بما فيها الاجتماعية بالقوى الخارقة الوهمية المعبر عنها بالإرادة العليا، هنا تميزت هذه المراحل من الناحية الفكرية بسيادة التفكير الديني والبساطة والسذاجة واللاواقعية، أما من الناحية المادية بسيادة التسلط ونظام القوة العسكرية في الحفاظ على نظام وأمن المجتمع، وتنقسم هذه المرحلة الى ثلاث حالات جزئية هي:

- **الحالة الوثنية:** وفيها يرجع الانسان في تفسيره لمظاهر الحياة الى قوة ظواهر الطبيعة كالشمس والرياح وبعض الحيوانات، فكان الخوف والضعف يوجه حياته وفق ممارسات وقوانين يسنها للجماعة معتقداً أنها تحميه من غضبها.
- **حالة تعدد الآلهة:** هنا بدأت فكرة الآلهة تتشكل في فكر الانسان فأصبح يعبد عدة آلهات.
- **حالة التوحيد:** وهنا تطور فكر الانسان وأصبح بإمكانه أن يعتقد بوجود إلاه واحد خالق الكون ومسيره، بالتالي يستمد منه قوانين لتسيير المجتمع.

ب- **المرحلة الميتافيزيقية:** تطورت فيها المعرفة الفلسفية المجردة أي تفسير الظواهر بناء على تصورات وفروض غائية بناءً على المنهج التأملي تسعى للبحث عن أسباب الظواهر فيما وراء الطبيعة والرجوع الى أفكار مطلقة لا يمكن إثباتها والاستدلال عنها واقعيا. وقد تميزت هذه المرحلة من الناحية. الفكرية بسيادة التأمل الميتافيزيقي ومن الناحية المادية بغلبة الاتجاه التشريعي أي تصبح الدولة هي القائمة على تنظيم المجتمع على أساس جمعي.[2]

ج- **المرحلة العلمية أو الوضعية:** هنا يصبح الإنسان قادرا على فهم الظواهر فهماً علميا يستند إلى نظام جديد من التصورات الموضوعية التي تتبع المنهج العلمي بخطواته (الملاحظة والتجربة والمقارنة العقلية) للوصول الى دلائل مادية يستخرج منها القوانين مثل باقي العلوم، وهذا يعني أن العلوم الت يوصل إلى المرحلة الوضعية هي العلوم التي توصلت إلى استعمال العقل والتجربة معا للبحث عن الحقائق واثباتها3، وقد حان الوقت لدراسة المجتمع وفق المنهج الوضعي وإقصاء كل المعطيات

[1] - Delas Jean-Pierre et Milly Bruno، op-cit، p 46-p47.

[2]- خالد حامد، مرجع سبق ذكره، ص 71.

[3]- نفس المرجع ص 71.

الميتافيزيقية واللاهوتية في التفكير، كما بين كونت أن علم الاجتماع سيصبح علما له أصوله وتقاليده وقوانينه وفروعه وهي كما يلي:

3/ **أقسام علم الاجتماع عند كونت**: قسم كونت دراسته للمجتمع الى قسمين هما:

أ- **الستاتيكا الاجتماعية**: هذا القسم يدرس البنى والهياكل التي يبني عليها نظام المجتمع شروط وجوده، كالأسرة والمؤسسات التربوية، السياسية، الاقتصادية، وهي التي تمثل الجانب الستاتيكي أي الأكثر ثباتاً في المجتمع، أي البحث عن قوانين الفعل ورد الفعل بالنسبة للأجزاء المكونة للنسق الاجتماعي[1]. وبفضلها يحدث التوافق والاجماع الاجتماعي، لأنها تقوم بإعداد وتنشئة الأفراد على القيم والمبادئ المشتركة التي توحد أفكارهم وأفعالهم وتجنب المجتمع الصراع، وتحافظ على استقرار واستمرار النظام في المجتمع، وتقوم الدراسة الستاتيكية للمجتمع بالتركيز على وحدة أساسية للتحليل السوسيولوجي وهي تحليل "النظم الاجتماعية" المتمثلة في (نظام الأسرة، نظام السياسة، نظام الاقتصاد...)

ب- **الديناميكا الاجتماعية**: يهتم بدراسة الجانب المتغير من المجتمع وعوامل التغير وحركة المجتمع المتصلة بنمط حياة الأفراد ونمو السكان ومستويات التطور الفكري والاجتماعي، أي يهتم بعوامل التقدم والتطور الاجتماعي على مرّ التاريخ لأجل اكتشاف قوانين تطور المجتمعات.[2]

وقد توصل اوغست كونت إلى أن تقدم المجتمعات يسير وفق مسار خطي إرتقائي وليس عشوائي، وعلى أساس الديناميكا يمكن اكتشاف قوانين تغير المجتمعات، ومنها قانون المراحل الثلاث الذي اكتشفه كونت نفسه، وهنا حدّد وحدة التحليل السوسيولوجي في الدراسة الديناميكية على انها "المجتمع ككل".

وعليه نستخلص أن كونت إهتم بمسألتي "**النظام**" و"**التقدم**" معاً، فالنظام يتمثل في الجانب الستاتيكي من المجتمع، أما التقدم فهو الجانب الديناميكي للمجتمع، أي ان تحقيق التوافق والاجماع الاجتماعي لا يقوم إلاّ على نظام موحد، فأهتم بالمؤسسات التي تسهم في إعداد الإنسان وتنشئته، كالأسرة والمؤسسات التعليمية ووسائل تشكل الرأي العام، بالتالي لابد من دراسة البنى الاجتماعية التي تحافظ على استمرار ذلك النظام في المجتمع. كما اعتبر ان المنهج التاريخي مرتبط بالديناميكا الاجتماعية أي لا يمكن فهم التغيرات إلاّ من خلال دراسة المسار التاريخي التطوري لظواهر المجتمع وتأثيرها على أبنية المجتمع.

4/هرم تطور المعرفة الإنسانية: اعتبر كونت علم الاجتماع آخر العلوم نشأة وهو الأكثر تعقيدا من العلوم كافة، حيث قدم أوغست كونت تقسيما شاملا للعلوم حسب مراحل تطورها وحسب أهميتها للإنسان ودرجة تعقدها ثم رتبها في هرم تسلسلي، جعل في قاعدة الهرم العلوم الدقيقة وعلوم المادة المجردة بداية من الرياضيات والمنطق، ثم الميكانيكا والفلك، ثم الفيزياء والكمياء، ثم علوم الأحياء والبيولوجيا، وفي قمة الهرم وضع علم الاجتماع لكونه العلم الأكثر تعقيدا الذي يحتاج الى تطور فكري شامل للعلوم ليتمكن الانسان من الإلمام بقضايا المجتمع ودراستها بمنهج علمي (أنظر الشكل الموالي).

1 - رابح، كعباش، **الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع**، مخبر الاتصال، جامعة قسنطينة، 2007، ص 29.

2 - نفس المرجع، ص 29.

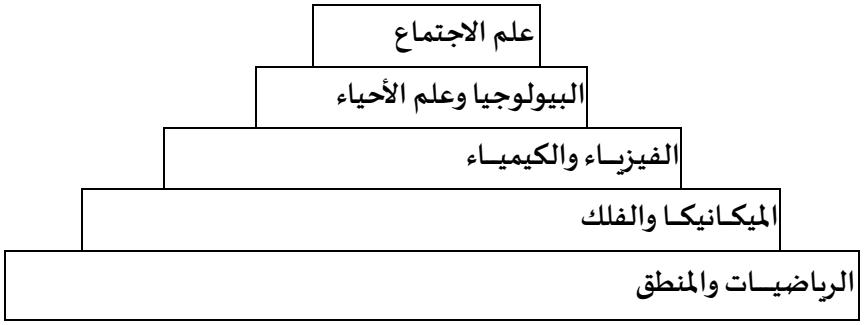

في ختام الدرس نقول أن أوجست كونت وضع في المرحلة الأخيرة من حياته خططا طموحة للإعادة بناء المجتمع الفرنسي والإنساني ككل، معتمدا في ذلك على منظوره الجديد لعلم الاجتماع، فقد حث على إقامة ما سماه دين الإنسانية والقائم على الابتعاد عن الايمان المطلق بالعقيدة والارتكاز على المبادئ العلمية، وسيكون علم الاجتماع بمثابة النواة لهذا الدين الجديد ، كما كان مدركا لمخلفات التصنيع كالتفاوت الطبقي وتراجع التماسك الاجتماعي، ورأى أن الحل النهائي هو الوصول الى إجماع أخلاقي من شأنه ان ينظم المجتمع ويعزز أواصر العلاقات ، وقد كان لإسهامه الأثر في تنظيم علم الاجتماع وتوحيده وتمهيدا للجهود التي جاءت بعده لوضع الأسس الأكاديمية لعلم الاجتماع[1].

[1]- أنتوني غيدنز، مرجع سبق ذكره، ص63.

إميل دوركايم 1858-1917

تمهيد:

إميل دوركايم من أوائل العلماء الذين أرسوا أسس علم الاجتماع الأكاديمي، لكونه أول من جمع بين تدريس علم الاجتماع في الجامعة وبين البحث العلمي حول المجتمع، كما عايش ظروف العمل الجامعي عكس سابقيه (أوجست كونت، وماركس) الذين كانوا رجال فكر ورجال حياة عامة، وقد تأثر دوركايم بالمناخ الفكري السائد في عصره القائم على ضرورة إقامة نظم وتصورات جديدة يحكمها العلم، وجمع بين أفكار العديد من العلماء الذين سبقوه خاصة أوغيست كونت، حيث يظهر تأثيره في نظريته حول استقلالية علم الاجتماع وشموليته لعدة مجالات اجتماعية في آن واحد. وهناك من يعتبر دوركايم المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، إذ وضع أسس النظرية السوسيولوجية وأرسى قواعد المنهج العلمي لعلم الاجتماع.

أولاً: التعريف بإيميل دوركايم

1/ نسبه و سيرته الذاتية: ولد دروكايم في سنة 1858 بمقاطعة "إبينال" الفرنسية، وقد تميزت الفترة التي عاش فيها بالهدوء النسبي بعد أن خمدت الاضطرابات في فرنسا، وعرف المسرح السياسي في تسعينات ذاك القرن استقراراً رغم الأوضاع الاجتماعية المتردية، كان والده رجل دين وأراد لإبنه أن يصبح مثله، وبذلك تشبع إميل دوكايم بالثقافة الدينية إلاّ أنه اتجه الى دراسة العلوم الدنيوية وسار في التعليم النظامي الحكومي، تم قبوله بالمدرسة العليا للمعلمين بباريس كمدرس سنة 1879م[1]، وفيها اجتمع بعدد من العلماء والفلاسفة الذين تركوا آثارا واضحة على الحياة الفكرية في فرنسا وقدموا أعمالا جادة ومميزة حول المجتمع، من أمثال "هنري برجسون" الفيلسوف الشهير، وبيير جانيت الباحث في علم النفس.

ومن أكثر أساتذة المدرسة تأثيرا فيه كان "فوستل دي كولانج"، هذا بالطبع الى جانب تأثره البالغ بالدرجة الأولى بفلاسفة عصر التنوير من أمثال "جان جاك روسو" "ومونتسكيو"، كما تأثر بفكر سان سيمون الذي عده دوركايم أستاذه في علم الاجتماع وأخذ عنه مبدأ الدراسة الفزيولوجية للمجتمع، سافر إلى ألمانيا حيث اهتم بدراسة الاقتصاد والفنون والأنتروبولوجيا الحضارية، وفي سنة 1887عُين أستاذاً بجامعة بوردو، ثم بجامعة السوربون سنة 1902 التي حصل بها على كرسي أستاذ التربية وعمل من خلاله على ادخال دروس علم الاجتماع في المقررات الأكاديمية.

من أهم إنجازاته رسالة دكتوراه حول تقسيم العمل الاجتماعي سنة 1893، أنشأ مجلة الحولية السوسيولوجية سنة 1896 التي كانت أول مجلة تمثل الفكر السوسيولوجي في فرنسا وساعدت على انتشاره، ثم كتب مؤلفه الشهير "قواعد المنهج في علم الاجتماع" 1897، وقدم دراسة سوسيولوجية حول الانتحار نشرت سنة 1897، ودراسة حول "الأشكال البدائية للحياة

[1]- خالد حامد، مرجع سبق ذكره، ص 81.

الدينية"، بالإضافة الى المقالات التي نشرها في المجلة التي أنشأها، وبذلك فقد ترك دوركايم ثروة علمية هائلة فضلاً عن أتباعه اللذين أسهموا في دعم وإرساء الدراسات الاجتماعية على أسس قوية[1].

ثانيا: الأسس العلمية لفكر دوركايم

جمع إميل دوركايم بين الجانب النظري لعلم الاجتماع والجانب التطبيقي من خلال ازدواجية اتجاهه بين التدريس والبحث الاجتماعي، وكان لذلك أثر كبير في التكامل المنطقي لفكره وتوظيفه للمنطلقات النظرية السائدة في عصره حول المجتمع، بالإضافة الى الآثار التي خلفها العلماء الذين درسهم وانتقدهم في آن واحد، ويظهر ذلك في الأسس النظرية التي شكلت فكره وهي كما يلي:

1-2 / النزعة الجمعية: يرى أن الجماعة الاجتماعية تسبق الوجود الفردي وتشكيله في المجتمع، فالجماعة هي منبع الثقافة والقيم والقواعد الاجتماعية التي تسيير الأفراد، بالتالي هي التي تحكم الإرادة الفردية، وتوجه المجتمع ككل، وتتشكل من التصورات الجمعية المتمثلة في أساليب التفكير والشعور و السلوك التي تظهر في تصرف الفرد على أنها تعبير عن سيطرة الجماعة[2]، وعليه فإن البحوث السوسيولوجية تتطلب دراسة المجتمع ككل متكامل دون تجزئته.

2-2/ النزعة الو اقعية: بمعنى منح الجماعة واقعا إجتماعيا خالصا/بحتا، وبدلا من دراسة الأفراد ركز على الوقائع الاجتماعيةمركزاً في ذلك على تفسير الظواهر الاجتماعية بناء على ما يعبّر به المجتمع عن نفسه من مظاهر ثقافية دينية اقتصادية [3]

3-2/ النزعة البيولوجية العلمية: حيث يتفق مع سان سيمون وسبنسر حول ضرورة تطبيق مناهج العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر الاجتماعية، مستنداً في ذلك الى مبدأ المماثلة العضوية الذي يطابق بين الكيان الاجتماعي والكائن الحي من حيث التركيب العضوي وأداء الوظائف، فيشبّه النظم الاجتماعية بأعضاء الجسد الإنساني، فإذا كان تكامل وظائف الجسد يؤدي الى نموه وبقائه وصيانته من الأمراض، كذلك بالنسبة "للبناء الاجتماعي" فإن تكامل وظائف النظم بداخله يؤدي الى تطور المجتمع واستمراره واستقراه وصيانته من الاضطرابات، بالتالي هو ينادي بتوحيد مناهج البحث مع احترام خصوصية الظاهرة الاجتماعية.

4-2/ مبدأ التو افق والإجماع الأخلاقي: يساند دوركايم "أوغست كونت" في فكرته حول "**التو افق الاجتماعي**" الذي يتحقق في المجتمع عندما يكون إجماع واتفاق حول **نظام قيمي أخلاقي يحكم المجتمع**، وتعتبر الأسرة ومؤسسات التنشئة الاجتماعية هي التي تقوم بمهمة نقل وإعادة إنتاج النظام الأخلاقي إلى أفراد المجتمع، مما يسمح بخلق روابط تحقق الانتماء للجماعة وتشكل أنماطا من التضامن الذي يحافظ بدوره على استقرار المجتمع.

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 81.

[2]- محمد أحمد بيومي، مرجع سبق ذكره ، ص 135.

[3]- أنتوني غيدنز، مرجع سبق ذكره، ص 63.

ثالثا: إسهاماته النظرية في علم الاجتماع

تعتبر إسهامات "إميل دوركايم" منعرجا هاما في علم الاجتماع، فقد نقل علم الاجتماع من الحالة النظرية التجريدية الى الحالة الإمبريقية التطبيقية، حيث شملت دراساته مجموعة كبيرة من الموضوعات، تمحورت حول علمية علم الاجتماع وإمكانية تحليل الحياة الاجتماعية بالطرق الدقيقة والصارمة المتبعة في دراسة الظواهر الطبيعية، وذلك من خلال تحديد الأسس والشروط العلمية والقواعد المنهجية التي سمحت لعلم الاجتماع الدخول في حيز العلوم الحديثة، كما حدد موضوعه "**بالظاهرة الاجتماعية**"، ثم قدم منهجا متكاملا لدراسة المجتمع، وبين القواعد المنهجية المتبعة في دراسة الظاهرة الاجتماعية، معتبراً أن "المنهج الوصفي التفسيري" هو الذي يجب أن تتميز به دراسات علم الاجتماع وبفضله تستطيع الوصول إلى القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية.

كما ركز دوركايم على مفهوم الضمير الجمعي على أنه نوع من الوحدة التي تتميز عن الأفراد ذاتهم، فهي لا تمثل جمع عشوائي للأفراد وللأجزاء، بل هي مجموع ما تمارسه الجماعة من أنماط التفكير والشعور والسلوك مشكلاً بذلك نتاج يختلف تماماً عن الأفراد الذين يكونونه، وهذا ما يجعل البحث السوسيولوجي قائما على تحليل سلوك الجماعة بدراسة ظواهر جمعية بدلاء من دراسة الأفراد، مثل ظاهرة الضامن الاجتماعي، تقسيم العمل الاجتماعي..الخ.

كما صنف ميادين علم الاجتماع في ثلاث موضوعات رئيسية :

- المورفولوجيا وهي عبارة عن التركيب الجغرافي وكثافة السكان وكل ما شابه ذلك.
- الفسيولوجيا الاجتماعية، وهى التى تتضمن العمليات الديناميكية كالعقيدة والأخلاقيات والقانون والحياة الاقتصادية، كل واحدة منها يمكن أن تكون مادة لموضوع الفسيولوجيا الاجتماعية.
- علم الاجتماع العام، وهو عبارة عن المحاولات التي تبذل في سبيل اكتشاف القوانين الاجتماعية العامة التي تظهر في العمليات الاجتماعية.

ومن بين إسهاماته النظرية:

- بناء قواعد المنهج في علم الاجتماع وتحديد خصائص الظاهرة الاجتماعية.
- دراسة أشكال التضامن الاجتماعي وتطور تقسيم العمل.
- دراسة سوسيولوجية للإنتحار.
- التفسير الاجتماعي للدين والأخلاق.

نحاول فيما يلي عرض مختصر حول هذه الأعمال.

1- بناء قواعد المنهج في علم الاجتماع:

ساهم إميل دوركايم بقسط كبير في تحديد مجال علم الاجتماع وطبيعة الظواهر التي يعالجها وحدد خصائص الظاهرة الاجتماعية وكذا الأسلوب المنهجي لهذه المعالجة، وهو أول من أرسى قواعد المنهج العلمي التي يجب أن تتبعها الدراسات والبحوث في علم الاجتماع لكي تصل الى نتائج علمية،

وفيما يلي نعرض القواعد المنهجية لدراسة المجتمع التي أوردها في كتابه "**قواعد المنهج في علم الاجتماع**":

- ✓ **دراسة الظاهرة الاجتماعية كأشياء كما هي موجودة في الو اقع:** بمعنى تتبع نشأة وتطور الظاهرة والوقوف على عناصرها وخصائصها وخباياها، لأن الظاهرة شيئ معقد وتتكون من أجزاء لا يمكن ملاحظتها مباشرة، بل تتطلب الكشف عن الحقائق واستخراجها من الواقع، ويتم ذلك بدراسة وتحليل الطرق والكيفيات التي يعبر بها المجتمع عن خصائصه مثل: العادات والتقاليد والقوانين والنصوص الدينية وقواعد السلوك.
- ✓ **الحياد العلمي:** التخلي عن الذاتية وعن التحيز والهوى والنزعات الأيديولوجية والأفكار الجاهزة المسبقة، لأن البحث العلمي يتطلب التحلي بالموضوعية وانفتاح العقل والدقة والممارسة التجريبية والبحث عن الدلائل في الواقع
- ✓ **توليد المفاهيم العلمية من الو اقع** يجب على الباحث أن يبتدأ بتعريف الظاهرة التي يتخذها مادة للدراسة، مع تحديد المفاهيم، أي استخراج المفاهيم من خلال الممارسة العلمية ودراسة الظواهر ميدانيا وتطوير مفاهيم جديدة تعكس الطبيعة الحقيقية للأمور الاجتماعية.
- ✓ **المقارنة في دراسة الظواهر**: دراسة العلاقات التي تربط الظاهرة بما عداها من الظواهر زمكانيا.
- ✓ **تحديد القو انين:** بعد القيام بالدراسة يتوصل الباحث إلى صياغة القوانين بدقة لأنها هي التي تكوّن مادة العلم وتؤسس النظرية الاجتماعية.

2- مفهوم الظاهرة الاجتماعية وخصائصها:

يعرِّف دوركايم الظاهرة الاجتماعية على أنها " طرق الفعل والتصرف والتفكير والشعور التي تقع خارج الأفراد وتتميز بوجودها الواقعي خارج حياة الأفراد ومداركهم"[1] ، فهي كل ضرب من السلوك الاجتماعي ثابتا (مثل المعتقدات الدينية، السلطة) أو متغير (مثل مستوى المعيشي للأسر، الدروس الخصوصية) تباشر إلزاما على الأفراد، وهي نتيجة حتمية للتفاعلات الاجتماعية كالتنافس التعاون التكيف، وتتميز الظواهر الاجتماعية بخصائص تميزها وتحدد سماتها وهي:

✓ **الشيئية/الموضوعية:** يجب دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها أشياء بمعنى أنها موضوعية تخضع للملاحظة والتجربة مثل الظواهر المادية والطبيعية، وتتحقق معرفتنا بها من الخارج عن طريق الملاحظة والمشاهدة وليس عن طريق التأمل والاستبطان، يقول دوركايم "**فلندرس الحقائق والوقائع الاجتماعية كأشياء**"، ويفسر ذلك بأن الظواهر تقع خارج ذوات الأفراد ومستقلة عن شعورهم الذاتي ولا يمكنهم التحكم في تأثيرها عليهم[2]، بالتالي يجب على الباحث أن يدرسها كأشياء بموضوعية بعيدا عن أفكاره المسبقة، ويبذل قصارى جهده في ملاحظة هذه الظواهر من الناحية التي تبدو فيها مستقلة عن مظاهرها الفردية مثل اللغة، التقاليد، الفنون.. هذه الظواهر لا تولد مع الأفراد ولا تفنى بفنائهم.

✓ **الجبرية/الالزام**: أي أن الظواهر الاجتماعية تمارس قهر وإلزاماً على الأفراد والجماعات، وبالتالي لا يملك الفرد الحرية والإرادة في إتباع نظام الظاهرة أو لا، بل يجد نفسه خاضعا لها لأنها راسخة في فكره وثقافته وعاداته، مثل عادات التحية، الاحتفالات، قواعد السلوك اليومي كالتعاون بين أفراد الأسرة لا إراديا..الخ، بالتالي الناس يتبعون أنماط السلوك الشائعة والسائدة في المجتمع معتقدين أنهم يمارسون خياراتهم بحرية، ويرى دوركايم أن الظاهرة تقيد الفعل الإنساني بدرجات، مثل: العقوبة على الجريمة كأقصى قيد، أو الاستنكار والاستهجان والرفض في حالة السلوك غير اللائق مثل: مخالفة الآداب العامة[3].

---

[1]- المرجع نفسه ، ص64.

[2]- مجد الدين عمر خيري، **علم الاجتماع-الموضوع والمنهج**، منشورات مجدلاوي، الأردن، 1997، ص 42.

[3]- نفس المرجع، ص 43.

✓ **التلقائية**: أنها قائمة بذاته الا يتم انشائها وفق مخطط مسبق مقصود، فحسب دوركايم الظاهرة ليست من صنع الفرد بل هي تركيب عفوي عشوائي ينشأ كلما اجتمع الناس وترابطت مصالحهم عن طريق عملية التفاعل الاجتماعي (الفعل ورد الفعل) بين الضمير الفردي والعقل الجمعي، وتتشكل من الوعي الجمعي وليس الفردي.

✓ **العمومية/ الشمولية**: أي أنها لا يمكن أن تتواجد في مكان ضيق محدود أو لدى شخص أو مجموعة صغيرة من الأفراد، بل يشترك فيها معظم أفراد المجتمع فهي ليست خاصة بل عامة وشاملة لأفراد المجتمع مثل الأسرة، السلطة والحكم، الانحراف والجريمة... .

✓ **الاستقلالية**: الظواهر الاجتماعية مستقلة عن ذوات الأفراد ولا يمكن دراستها وتفسيرها بمتغيرات وخصائص فردية أو نفسية، أي أن ما هو اجتماعي لا يمكن تجزئته في نظر دوركايم، بمعنى **"أن الاجتماعي يُفسر بالاجتماعي "**[1].

3- تقسيم العمل والتضامن الاجتماعي

أ/ تقسيم العمل: كان دوركايم كغيره من مؤسسي علم الاجتماع مهتما بالتغيرات التي تخلق حالة من التحول الاجتماعي، وركز اهتمامه بصورة خاصة على التضامن الاجتماعي والأخلاقي، أي بالروابط التي تشد المجتمع ببعضه وتصونه من التفكك، ويرى دوركايم أنه يمكن الحفاظ على التضامن في المجتمع عندما يندمج الأفراد في مجموعات اجتماعية تنظم حياتهم تشكيلة من القيم والعادات المشتركة، وفي أول مؤلفاته الرئيسية حول **"تقسيم العمل في المجتمع"** توصل إلى أن النمو الصناعي والتقدم العلمي يؤديان الى عملية التساند المتبادل بين الأفراد والمجتمعات[2]، نتيجة تقسيم العمل المتزايد الذي يصبح عملية اجتماعية ضرورية تؤدي إلى تزايد التضامن الاجتماعي بين الناس.

يعتقد دوركايم إن زيادة تقسيم العمل ليس مجرد ظاهرة اقتصادية وإنما شرط أساسي للحياة الاجتماعية، لأن الوظائف التي يقوم بها الناس تؤدي الى انتظامهم في ترتيب طبقي محدد تتباين فيه درجات الثروة والقوة والمكانة الاجتماعية، مما يجعل كل فئة تسند وتكمّل الفئة الأخرى، بالتالي كلما تطورت الحياة في كل مجالاتها أدى ذلك الى زيادة تقسيم العمل، ويرجع تقسيم العمل الى حجم المجتمع من حيث البنية، وكثافة السكان وتمركزهم، وشدة التفاعل الاجتماعي. فازدياد عدد السكان هو العامل الأساسي لتقسيم العمل، لأن كثرة العدد تفرض على الناس ضرورة التخصص المهني، مما يقلل من حدة الصراع من أجل البقاء ويتيح فرصة أوسع للحصول على وسائل الحياة للجميع بالقدر المتاح لهم حسب مستوى الكفاءة والمكانة الاجتماعية.

وهذا ما يخلق شكلا جديدا من التضامن الاجتماعي يضمن استمرار واستقرار الحياة حسب المعطيات الجديدة، بدلاً من صراع المصالح والتفكك، لذا على الدولة الاستمرار في دعم النسق الأخلاقي العام الذي يحافظ على تقبل أفراد المجتمع لمواقعهم في المجتمع، لكي يستمر دعم الفئات الاجتماعية لبعضها بالتالي يحدث التوافق الاجتماعي الذي يقوي التضامن الاجتماعي.

[1]- أحمد رأفت عبد الجواد، مرجع سبق ذكره، ص ص 19،20.

[2]- خالد حامد، مرجع سبق ذكره، ص 85.

ب/ أشكال التضامن الاجتماعي: في هذه الدراسة حول تقسيم العمل ناقش دوركايم مفهوم التضامن الاجتماعي والروابط الاجتماعية والوظائف وتقسيمها وتغيرهاحسب أنواع المجتمعاتالتقليدية البسيطة والمجتمعات الحديثة المعقدة، ومنه استخلص نوعين أساسيين للتضامن هما التضامن الآلي والتضامن العضوي[1].

ب-1/ التضامن الآلي: يسود المجتمعات البدائية أو التقليدية يتميزون بعدة سمات اجتماعية، تظهر في التجانس والتشابه من النواحي الاجتماعية والاقتصادية النفسية وهي:

4- **التجانس والتشابه من الناحية المهنية:** أي أن أفراده لديهم وظائف متشابهة وبسيطة مثل الزراعة والحرف بالتالي المجتمع كأنه آلة واحدة تعمل أجزائها لإنتاج نفس المنتوج.
5- **تقسيم العمل:** أي تقسيم الوظائف يقتصر حسب السن والجنس.
6- **الترابط الآلي:** أي يربط أفراده عواطف مشتركة ومعتقدات متقاربة يحكمها الشعور الجمعي القوي الذي يتكون من القيم والأعراف والتقاليد والمعايير الاجتماعية، ويكون الاجماع والولاء لهذا الضمير الجمعي، الذي يتميز بقوة ضاغطة على أفراده لكي يلتزموا برأي الجماعة.[2]
7- من الناحية البنائية المورولوجية يكون عدد السكان قليل ومشتت أي غير متمركز في مدن كبرى.

ب-2/ التضامن العضوي: يميز المجتمعات الحديثة التي يزداد فيها تقسيم العمل، ويحلل دوركايم حالة التضامن العضوي بالاجابة على تساؤل مهم طرحه، ما الذي يؤدي إلى زيادة تقسيم العمل ؟ إن تقسيم العمل يختلف باختلاف حجم المجتمع من حيث الكثافة السكانية بالدرجة الأولى ثم الكثافة المعنوية أو الديناميكية بمعنى شدة التفاعل الاجتماعي التي تدخل أعضاء المجتمع في علاقات وظيفية، فلا يعد ازدياد عدد السكان هو العامل الأساسي لتقسيم العمل فقط، بل لأن هذه الكثافة العددية تخلق معها كثافة معنوية، فيترتب على ذلك شدة الصراع من أجل البقاء والاستمرار، فيضطر الناس إلى ضرورة التخصص المهني وإيجاد وظائف مختلفة غير متجانسة مع الأخرى تبعا للحاجة والتطور الإنتاجي من الضروري الى إلى الكمالي، مما يقلل من حدة الصراع ويتيح فرصة أوسع للحصول على وسائل الحياة لكل أفراد المجتمع حسب قدراته وكفاءته.

4- اللامعيارية الاجتماعية: استخدم إميل دوركايم مفهوم اللامعيارية أو الأنوميا وأصبحت كنظريّة تحليلية للمجتمعات الحديثة، وتعني انعدام قواعد ومعايير السلوك الواضحة حسب التغيرات في المجتمع، مما يؤدي الى صعوبة استيعاب ومواكبة الأفراد والجماعات لتلك التغييرات، إلى حدّ يتعطّل معها فاعلية المعايير فتفضيّ بالمجتمع إلى الفوضى والصراع والمشكلات الاجتماعية مثل ارتفاع معدلات الجريمة والانحراف والانتحار.

كما يقصد بها حالة اللاقاعديّة حيث يشير إلى حالة اللّاقانون واللانظام وإلى افتقار السلوك إلى القواعد والمعايير التي يتم بها قياس أو تمييز السلوكيات المتغيرة في المجتمع وصعوبة ضبطها، كما تدل على حالة عدم توافق احتياجات واتجاهات الأفراد مع المعايير الاجتماعية نتيجة ضعف تلك المعايير الضابطة في المجتمع، وبالتالي فقدان السيطرة على سلوك الأفراد مما

[1]- مجد الدين عمر خيري، مرجع سبق ذكره، ص47.
[2]- محمد أحمد بيومي، مرجع سبق ذكره، 145.

يؤدي إلى خلق فوضى وعدم استقرار في المجتمع. وبالتالي فدراسة دوركايم لموضوع الانتحار كانت في إطار البحث عن العوامل الاجتماعية والضغوط الأخلاقية المحركة للسلوك الفردي اللامعياري أي المنحرف كجريمة الانتحار.

5- دراسة ظاهرة الانتحار

توصل دوركايم إلى أنّ مفهوم الانتحار ليس مفهومًا موحداً لدى الجميع، بل إنّه يتعدد بحسب السياقات والشروط الاجتماعية التي تفرضه، وأثبت ذلك بعد تفحص العديد من المعطيات والمقارنات، وعبر استنطاق الإحصائيات والمؤشرات الرقمية التي تظهر إلى أي حدّ تعتبر الشروط الاجتماعية هي المسببة في ظهور الانتحار كالظاهرة، وأول خطوة بدأها دوركايم هي تعريف ظاهرة الانتحار، على أنها "كل حالات الموت التي تكون نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لفعل سلبي أو ايجابي قام به المنتحر نفسه، وهو يعلم انه سيؤدي إلى هذه النتيجة[1].

حسب دوركايم يعتبر انحراف الأفراد عن المعايير الجمعية حالة مرضية (باثولوجية)، تدل عن ضعف التكامل الاجتماعي أو تراجع فاعلية النظام في المجتمع، وبما أن المجتمع كيان عضوي مثل الكائن العضوي قد يُصاب بعلل مختلفة، فعلى هذا الأساس عرض دوركايم دراسته حول الانتحار لتفسير الأسباب الحقيقية للانحراف واعتبارها كخلل وظيفي في المجتمع.

حاول دوركايم جمع حالات الانتحار في أربعة نماذج حيث يتضمن كل نموذج مجموعة من الأسباب الاجتماعية، منها الدينية والسياسية والاقتصادية والسوسيوثقافية، لكن أهم ما قدمه في هذه الدراسة هو النمذجة العلمية لظاهرة الانتحار، والتي يمكن إسقاطها على كثير من الدراسات الاجتماعية كما سيتبين:

أ/ الانتحار الأناني: يوجد في المجتمعات الأقل تماسكا، يأتي كنتيجة طبيعية لانحلال الروابط الاجتماعية، سواء العائلية أو السياسية أو الدينية. مما يؤدي الى عدم اندماج الأفراد في جماعاتهم بالتالي يقل مستوى التكامل والتماسك بين أعضاء الجماعة، ويرى دوركايم أن بعض المجتمعات تتميز بضعف اسنادها للأفراد مما يزيد من حالة الانفراد والشعور بعدم الدعم والمساندة من طرف الجماعة، وهنا قدم مثال عن الطوائف الدينية المسيحية، حيث يكون الفرد مندمجا مع الجماعة الكاثوليكية لأنها تدعم أفرادها، بينما البروتيستانتية تترك الفرد يقرر مصيره بمفرده مما يؤدي الى الشعور بعدم الانتماء والانعزال عنها ومواجهة مشكلات الحياة بمفرد، وهذا ما يؤدي الى زيادة الانتحار عند البروتيستانت أكثر من الكاثوليك[2].

انطلق دوركايم من مجموعة من الفرضيات التي عزز بها دواعي إطلاق مفهوم الانتحار الأناني:

- يتغير الانتحار تغيرًا عكسيًّا مع درجة اندماج المجتمع دينيا.
- يتغير الانتحار تغيرًا عكسيًّا مع درجة الاندماج في العائلة.
- يتغير الانتحار عكسيًّا مع درجة الاندماج في المجتمع السياسي
- وباختصار يتغير الانتحار عكسيًّا مع درجة اندماج الأفراد في الجماعات الاجتماعية التي ينتمي اليها.

[1]- عامر مصباح، مرجع سبق ذكره، ص 71.

[2]- محمد أحمد بيومي، مرجع سبق ذكره، ص 149.

ب/ **الانتحار الغيري/الايثاري:** هذا النوع يمثل النوع الشائع من الانتحارات التي عرفتها البشرية منذ القدم. فقد كان يقع في لحظات تاريخية وفي ظروف سوسيوثقافية مختلفة، وأنّ وقوع مثل هذه الانتحارات، متواتر لدى الشعوب البدائية والتقليدية، وقد توقف دوركايم على ثلاثة أنواع منه:

- انتحار الرجال الذين بلغوا عتبة الشيخوخة أو أصيبوا بمرض.
- انتحار النساء بعد افتقاد أولادهن أو أزواجهن.
- انتحار الحاشية أو الخدم أو الجنود.
- انتحار في الحروب الدينية والسياسية

ويرجع أسبابه الى شدة الروابط الاجتماعية والتلاحم الاجتماعي والذوبان في قيم الجماعة، مما يدفع الفرد الى التخلي عن الحياة فداء للجماعة ولقيمها، أي أن الفرد عندما يكون مندمجًا بشكل قوي مع المجتمع يضحي لأجله، على عكس النوع الأول(الاناني)، وترجع الأسباب المباشرة إلى القيم والأعراف المجتمعية التي تدفع للتضحية وتجعلها فعلاً مقدسا وشرعيا، حيث يكون تأثير المجتمع على الفرد هنا قويًا من الناحية العاطفية، ويمثل تشريفا وتكريما للفرد لأنه يؤثر مجتمعه على نفسه، وفي مثل هذه الحالات يكون ضغط المجتمع قويًا على الفرد، ويمثل الأرضية الخصبة لانتعاش الانتحار الإيثاري[1].

ج/ **الانتحار الفوضوي:** يُرجع دوركايم الانتحار الأنومي/اللامعياري الى تراجع النظام الاجتماعي ككل، أي الى الأزمات والاضطرابات في النظام الجمعي الناتجة عن الأوضاع الاقتصادية المضطربة والفوضى السياسية، ويرى دوركايم أن السمة البارزة في المجتمعات المعاصرة هي حالة الفوضى الناجمة عن فقدان النظام الطبيعي، لأنّ التحولات العميقة والنوعية التي تحصل في جل المجتمعات الصناعية الحديثة تؤدي الى تغيير نظام القيم السائد مما يؤدي الى اضطراب المرجعيات الأولى واختلال النظام القديم للمجتمع ودخوله في حالة الفوضى والأزمات حادة ، وهنا تتولد قيم وأخلاق جديدة أي نظام سلوكي جديد يتماشى مع الأوضاع الجديدة، لكن هذا النظام الجديد لا يستطيع أن يقدم للفرد ذلك الدعم والسند اللذين كان يحظى بهما في المجتمعات التقليدية/الآلية ذات التفسيرات الميتافيزيقية اللاهوتية.

هذه النقلة تجعل الأفراد في حالة عدم استقرار من الناحية المادية والمعنوية (كحالات الفقر، والبطالة، وتراجع مكانة الفرد في المجتمع) بسبب عدم تمكنه من استيعاب الأوضاع الجديدة والالتحاق بالتغيرات الجديدة، بالتالي تتراجع فاعلية الفرد في المجتمع ويضعف تماسكه مع الجماعة، فيجد نفسه مهمشا ومستبعدا من الحياة العامة، وعندها يتجه الى العزلة التي تخلق لديه مشكلات نفسية مما يزيد معها المعدل الاجتماعي للانتحار.

يؤكد دوركايم أنّ الانتحار الأنومي يتولد عندما تنتهي صلاحية القيم المجتمعية وانحلال الروابط الاجتماعية القديمة، حيث يسود قلق اجتماعي مزمن، هنا يؤكد دوركايم على ما هو اجتماعي وليس لما هو فردي، فالانتحار لا يقع إلاّ إذا تهيأت أسبابه الاجتماعية، وحينها يستسلم الفرد لأقل صدمة من صدمات الظروف المحيطة، من قلق وحيرة وتصدع وفقدان المعنى في الحياة، وعليه فإنّ الانتحار هو تعبير عن ضعف الفاعلية في المجتمع، وهو انفصال ينجم عن حالة مفرطة من التفرد والانعزال، تنبع بالتحديد من تحلل النسيج المجتمعي

[1]- نفس المرجع ، ص 151.

الانتحار القهري / النظامي/: وهو عكس الأنوميرجع دوركايم الانتحار القهري الى شدة النظام وتحكمه في أدق جزئيات حياة الانسان، ذلك لأن المجتمعات المعاصرة ستصل الى حتمية استبدال النظام الطبيعي بنظام وضعي، لأنّ التطورات السريعة التي جاءت مع ثورة التكنولوجيا تتطلب نظام صارم ومحكم يفرض على الأفراد نمط حياة منضبط وقاهر بحيث لا يملك الأفراد حرية التغيير أو التصرف والتحرك الإرادي في مجالهم بل يصبح كالآلة يعمل في مواقيت محددة بوسائل محددة وفي اطار محدد وعلاقات ضيقة، هذا النمط الصارم غير قابل للتحمل طويلا لأنه ليس من طبيعة الأفراد، وليس لهم القدرة على استيعاب الضغوط والأوضاع الجديدة وصعوبة الالتحاق بالتغيرات السريعة، كما لا يمكنهم الانسحاب والافلات من قبضة النظام في نفس الوقت، بالتالي لا يجدون حلاّ إلاّ في الهروب من الواقع الى الانتحار.

إذا انطلاقًا من أطروحة دوركايم المركزية فإنّ المعدل الاجتماعي للانتحارات لا يجد تفسيره إلا سوسيولوجيًّا، ذلك أنّ البنية الأخلاقية للمجتمع هي التي تحدد معدلات الانتحار تبعا للمتغيرات الاجتماعية التي ذكرها في كل حالة.

كارل ماركس / 1818-1883

تمهيد:

كارل ماركس يعتبر رائد مدرسة الصراع في علم الاجتماع، تتخذ هذه النظرية اتجاه عكس نظرية الإجماع الاجتماعي لشرح نطاق واسع من الظواهر الاجتماعية على غرار الظواهر الكونية، حيث ركزت على الصراعات عبر التاريخ حول الثروة وما تخلفه من ظواهر الفقر والتميز العنصري والعنف الأسري، وقد تناولت بالدراسة معظم التطورات في تاريخ الإنسان من النظام العبودي و الاقطاعي الى الرأسمالي وما لازمه من شعارات كالديمقراطية والحقوق المدنية..، وتتمحور النظرية حول مفاهيم عدم المساواة الاجتماعية في تقسيم الموارد والاستغلال والاحتكار والصراعات القائمة بين الطبقات.

أولاً: التعريف بكارل ماركس و سيرته الذاتية

ولد كارل ماركس في مدينة تريف بألمانيا، درس التاريخ والفلسفة والقانون وحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة، تعايش مع أوضاع القرن التاسع عشر كفيلسوف ومفكر سياسي واقتصادي وعالم اجتماع، مارس العمل الصحفي وشارك في الأعمال السياسية الثورية، أهمها الرابطة الدولية للعمال، مما أدى الى طرده من ألمانيا بسبب معارضته للبرجوازية السائدة ومساندة الحركات الاشتراكية، لعبت أفكاره دورا هاماً في تطوير عدة علوم كالاقتصاد والسياسة وعلم الاجتماع، وألّف العديد من الكتب أشهرها "البيان الشيوعي" صدر بالاشتراك مع زميله إنجلز سنة 1848، وكتاب "رأس المال" الذي تضمن القضايا الأساسية في علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية.[1]

تأثر ماركس بالأفكار والأوضاع السائدة في عصره أهمها:

- الفلسفة الألمانية المثالية لنتشيه وهيغل وكذلك فيورباخ .
- الثورة الفرنسية وما تبعها من فوضى واضطراب البنى الاجتماعية.
- تطور الاقتصاد السياسي الإنجليزي وخاصة ما جاء به دافيد ريكاردو وأدم سميث.

ثانيا: أسس علم الاجتماع في فكر كارل ماركس

1. عُرِف كارل ماركس بتصوره المادي في قراءة التاريخ ونقده للرأسمالية، وذلك في إطار نظريته الشهيرة "المادية التاريخية" القائمة على نقد المجتمع الرأسمالي ومساندة الطبقة العمالية لأجل التحول إلى الاشتراكية، معتبراً أن هذا التغير ضرورة اجتماعية وحتمية تاريخية، لكون المجتمع هو تاريخ صراعات طبقية، بسبب تعارض المصالح بين الطبقات الاجتماعية، ومنه صاغ مفهوم المادية الجدلية انطلاقا من مفهومي الجدلية المادية عند هيغل والمادية عند فيورباخ، ووظفه لكي يقدم تصوراً مادياً للتاريخ الإنساني.

[1]- خالد حامد، مرجع سبق ذكره، ص ص 74-75.

2. ساهم ماركس في نشأة علم الاجتماع وقدم تسمية جديدة مخالفة للفلسفة الوضعية التي جاء بها أوغست كونت، رافضا مصطلح السوسيولوجيا وعوضه بمصطلح "علم المجتمع"، للدلالة على الفرع المعرفي الذي يدرس المجتمع، وقد حدد موضوع هذا العلم على أنه " دراسة المجتمع الإنساني ككل تاريخي متغير"، من خلال دراسة القوانين الاجتماعية لتطور البنى الاجتماعية الاقتصادية، مركزا على العلاقات الاجتماعية المرتبطة بالعملية الإنتاجية وعلاقات الملكية، والوجود المادي للمجتمع، والوعي المتعلق بذلك الوجود.

3. أكد ماركس على ان الوجود المادي هو الذي يحدد وعي الناس، وليس العكس، بالتالي فإن التغيير الاجتماعي ينطلق من المادة الى الفكر، أي من المؤثرات والعوامل الاقتصادية الى الأفكار والقيم الاجتماعية، بمعنى أن أسلوب الإنتاج هو الذي يحدد الطابع العام للعمليات الاجتماعية مثل الصراع حول الثروة، بالتالي التغيير الاجتماعي يحدث بناءً على أساس الصراع الطبقي التاريخي.

4. اهتم بدراسة البنى الاجتماعية وعلاقتها بالبنى الاقتصادية، وبيّن نتائج الاختلال الطبقي ومخلفاته كالاغتراب الاقتصادي الذي يؤدي بدوره إلى اغتراب(استلاب) اجتماعي وسياسي للإنسان.

5. وظّف ماركس في دراساته منهجه الخاص المسمى بالمنهج التاريخي المادي لكشف القوانين العامة للتطور، الى جانب المنهج الجدلي (المادية الجدلية) القائم على إظهار التناقضات القائمة بين عناصر المجتمع ثم التمييز بين ما هو ضروري وحتمي وبين ما هو عارض وزائل باعتبار أن العملية الجدلية هي القانون العام الذي يحكم كافة الظواهر الكونية والاجتماعية.

ثانيا: أهم القضايا في النظرية الماركسية

1/ النظام الاجتماعي:

حاول ماركس أن يقدم نظرية متكاملة حول البناء الاجتماعي والتغير الاجتماعي، مستندا الى المادية التارخية التي تسلم بأن المجتمع هو كل منظم تعتمد أجزاءه على بعضها، بالتالي يتطلب دراسة المجتمع في حقبة تاريخية يحددها البناء الاقتصادي بما يتضمنه من قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، حيث تتحدد بموجبها طبيعة المجتمع والنظام الذي يسوده

يرى ماركس أن المشكلات الاجتماعية لا تكمن في طبيعة الفرد وسلوكه، بل هي قائمة أساسا في النظام الاجتماعي المنتج لطابع الظلم والاشتغلال والاحتكار للثروة، ومن ثم فإن البحث عن حلول لمشكلات المجتمع ليس في الفرد بل في النظام الاجتماعي. وعليه فإن البحث الاجتماعي ينبغي أن ينصب على التحليل العلمي للمجتمع والنظام الاجتماعي كضرورة منطقية لتحليل المشكلات الاجتماعية

وبذلك يقسم ماركس النظام الاجتماعي الى بنائين أساسيين هما البناء التحتي والبناء الفوقي

أ- **البناء التحتي:** هو البناء الاقتصادي المكون من قوى الإنتاج(الموارد الأولية واليد العاملة) وعلاقات الإنتاج(النظام المسير بين صاحب العمل والعامل)، ويتشكل هذا البناء أثناء عملية الإنتاج الاجتماعي حيث يدخل الأفراد في علاقات محددة وضرورية ومستقلة عن إرادتهم تبعا لمستوى تطور قوى الإنتاج في مرحلة معينة، وبالتالي جملة هذه العلاقات هي التي تكوّن البناء الاقتصادي للمجتمع.

ب- **البناء الفوقي:** وهو النظام الاجتماعي السائد الذي يتكون من النظام السياسي والأيديولوجية السائدة وثقافة المجتمع والقوانين و الأخلاق ، ويعدّ هذا البناء إنعكاسا للبناء الاقتصادي، فمثلا: شكل السلطة السياسية يعكس مصالح الطبقة المسيطرة والمالكة لوسائل الإنتاج، والتي تستخدم الأفكار المساندة لها وتحاول تطويع الثقافة الاجتماعية لكي تحفظ استقرارها عبر مؤسسات المجتمع، ومنه تتشكل طبيعة النظام في الدولة، فمثلا في المجتمع الرأسمالي تتولد دولة تخدم المصالح الرأسمالية و نظام سياسي لا يتناقض مع الرأسمالية و تسن القوانين بما يخدم الرأسماليين[1].

2/ المادية التاريخية:

2-1/ المادية التاريخية: هي نتاج تطبيق المنطق الجدلي على التطور التاريخي للمجتمع، وتبحث المادية التاريخية عن أسباب التطورات والتغيرات في المجتمع البشري، أي الوسائل التي ينتج بها البشر ضروريات الحياة، وأسباب ظهور الطبقات الاجتماعية والعلاقة التي تحكمها، فالهياكل السياسية واساليب التفكير في المجتمع المكونة للبناء الفوقي للمجتمع، تتبع النشاط الاقتصادي المكون للبناء التحتي للمجتمع(الاقتصاد)، حيث يرتبط البناء الفوقي والتحتي بعلاقات جدلية متناقضة، مما يؤدي الى تغيرات كيفية (أي التطور على مستوى المادي)، مما تنتج عنها التغيرات الكيفية (أي التطور على مستوى الوعي الاجتماعي)، هنا تحدث الثورة الاجتماعية(العمالية) التي تعمل على تحطيم النظام الرأسمالي الاستغلالي، وبناء مجتمع الحرية الإنسانية أي النظام الاشتراكي كما يراه ماركس.

3/ التغير الجدلي وصراع الطبقات:

ركز ماركس على فكرة التغير الجدلي الذي ينبع من الصراع بين العناصر المتضادة أو المتناقضة، فهذه العملية الجدلية يعتبرها القانون العام الذي يحكم كافة أشكال الظواهر والأنساق الموجودة في الطبيعة، وينطبق هذا القانون على المجتمع بوصفه نسقا أو نظاما تتفاعل فيه عناصر متناقضة أي يوجد عنصر في الظاهرة يسمى **الموضوع** يتواجد في نفس البيئة مع عنصر ثاني يسمى **نقيض الموضوع** ثم يحدث صراع بينهما ينتج عنه عنصر جديد يسمى مركب الموضوع حاصل الصراع أو "**النتيجة**"[2]..

مثال: **الموضوع:** النظام السائد الرأسمالي القائم على الاحتكار اللامساواة الاجتماعية

نقيض الموضوع: الطبقة العمالية البروليتارية الأقل استفادة من الامتيازات والثروات وتستغل جهودها من البرجوازي لزيادة الإنتاج واخذ فائض القيمة.

الصراع: الثورة العمالية المطالبة بحقوقها واسترجاع فائض القيمة

النتيجة: النظام الاشتراكي القائم على المساواة بإعادة توزيع فائض القيمة واحلال التوازن في لمجتمع

استخدم ماركس هذه المعادلة في دراسة المجتمع، واعتبر أن النظام الرأسمالي هو موضوع الجدل حيث نجد تناقض وعداء بين الطبقة الرأسمالية المالكة لوسائل الإنتاج والمحتكرة لفائض قيمة العمل، والطبقة العمالية المالكة لقوة عملها، ينشأ بين الطبقتين تناقض وصراع لا يمكن حله إلاّ عن طريق الثورة البروليتارية(العمالية)، للإطاحة بالنظام الرأسمالي وإحلال محله النظام الإشتراكي كعنصر جديد، وعليه فإن الصراع هو عملية تاريخية حتمية وهي الطريق الطبيعي لإحداث التغيرات

[1]- المرجع نفسه ، ص 76.

[2]- المرجع نفسه، ص 77.

الاجتماعية. فبالنسبة لماركس وانجلز الديالكتيك(الجدلية) هو علم القوانين العامة للحركة وتطور الطبيعة (المادة) والمجتمع الانساني (الفكر)

ومن الخصائص الأساسية لعلم الاجتماع الراديكالى أنه ينتقد اللامساواة في المجتمع الراهن، وأنه يهتم بإمكانية تغييرها. وقد عبر عن هذه الخصائص تعبيراً واضحاً هوارد شيرمان وجيمس وود في كتابهما "علم الاجتماع المنظورات التقليدية والراديكالية"

بقولهما:" يحاول علم الاجتماع الراديكالى أن ينظر في الترتيبات الاجتماعية من منظور الجماعات المضطهدة مثل الفقراء، والعاطلين، والعاملين، والسود والأقليات الأخرى، والنساء. ومن هذا المنطلق ينصرف علم الاجتماع الراديكالي بعناية إلى المؤسسات الرئيسية في المجتمع الرأسمالي، حيث يهتم بكيفية وصول تلك المؤسسات - اجتماعية وسياسية واقتصادية - إلى أشكالها الحالية، ومن هم المستفيدون منها، وعما إذا كان التغير الجذري في المجتمع ممكناً وضرورياً. وأخيراً يهتم علم الاجتماع الراديكالي بالبدائل المحتملة للتنظيم الاجتماعي الحالي"[1]

الاغتراب والأيديولوجيا: يعبر الاغتراب عن شعور الأفراد بالعجز عن التوافق أو التكامل الذي يحقق اندماج الفرد مع الجماعة والمجتمع، كما يعبر عن حالة فقدان قوة التحكم ماديا ومعنويا في الأوضاع التي يعيش فيها الفرد، ويشير هذا المفهوم إلى حالة تتحول فيها العلاقة الطبيعية والسياق الطبيعي للأشياء إلى سياق غير طبيعي.

ويظهر مفهوم التغير الاجتماعي عند كارل ماركس من خلال مجموعة من الأفكار التي يمكن بيانها في النقاط التالية :

- إن تاريخ كل حقبة يقدم لنا معلومات مؤكدة على أن الطرق السائدة لإنتاج الثروة والتبادل، وظروف التنظيم الاجتماعي، تؤثر في التنظيمات السياسية والإيديولوجية.
- إن كل تنظيم اجتماعي يخضع لتغير مستمر، إذ يتطور حتى يبلغ في النهاية جدا يقف فيه كل تطور آخر في الأنماط السياسية والنظم الأخرى.

وقد استعار كارل ماركس هذا المصطلح من النزعة الرومانسية الألمانية وضمنه معنى انفصال الإنسان عن البيئة الطبيعية التي يعد جزءا منها، بحيث لا تصبح علاقته بها مباشرة أو ودية. وتزداد حدة الاغتراب بازدياد التطور التكنولوجي لوسائل الإنتاج والتقدم الحضاري ... ويرى كارل ماركس أن المجتمع البرجوازي يمثل ذروة اغتراب الإنسان عن ذاته إذ تسيطر فيه أساليب الإنتاج التي ابتكرها الإنسان للسيطرة على الطبيعة، تسيطر على الإنسان نفسه، وأن وراء إنتاج كل سلعة في النظام الرأسمالي تختفي مجموعة من العلاقات الاجتماعية مثل تقسيم العمل، والاستغلال، وصراع الطبقات فعلاقات الملكية في المجتمع الرأسمالي تجعل الفرد العامل تضعف لديه حاسة الشعور بالانتماء إلى العمل في مقابل ذلك، يقوى لديه الشعور بالعزلة عن نظام الإنتاج وعن أهدافه[2].

ويفسر ماركس ذلك بأن هناك علاقة طبيعية بين العمال وناتج عملهم أي يشعر الفرد أنه لم يحصل على مردود جهده بكامله، وفي النظام الرأسمالي يتم انتزاع فائض قيمة العمل المبذول من العمال، فيصبح العامل مغتربا عن عالمه الطبيعي حين يفقد ملكيته لناتج عمله، وببساطة فإن الاغتراب يشير إلى أنه "في ظل النظام الرأسمالي يستنزف ويستلب الرأسمالي جهود

[1] - أحمد رأفت عبد الجواد، مرجع سابق، ص 67.

[2]- خالد حامد، مرجع سبق ذكره، ص 79.

وقوى العامل ليحولها من خلال التبادل والتراكم إلى رأسمال يستخدمه في مزيد من الاستنزاف والتراكم لصالح الرأسمالي. وهنا يشعر الفرد أنه غير مندمج مع المجتمع[1].

أما الأيديولوجيا فهي تعبر عن نظام الأفكار والمناخ الثقافي والمعتقدات العامة والنسق الاجتماعي والسياسي الذي يخدم مصالح الطبقة الرأسمالية، وهنا تمثل الأيديولوجيا أحد محركات اغتراب الانسان في النظام الرأسمالي التي يستخدمها الرأسمالي لإقناع الأفراد بمراكزهم في المجتمع تفاديا للانتشار الوعي والثورة ضد الاستغلال. [2]

ويرى كل من كارل ماركس وأنجلز أن الإيديولوجيا السائدة في المجتمع هي إيديولوجيا الطبقات الحاكمة، بحكم النفوذ والملكية لوسائل الإنتاج والسيطرة على الاقتصاد والسياسة. فالإيديولوجيا - في نظر كارل ماركس - Karl Marx مفهوم يعبر عن مضمون البنية الفوقية الأكثر انفصالا في الظاهر عن الحياة الاجتماعية، كالدين والفلسفة. مع إقراره بإمكانية وجود وعي حقيقي يعمل في مجال العلم والحقوق.

فمن منظور كارل ماركس أن الإيديولوجيا تحدد مضمونها البنية التحية الممثلة في الاقتصاد، ومن ثم فالطبقة البرجوازية المتحكمة في اقتصاد المجتمع تجعل من الإيديولوجيا أداة للتعبير عن مصالحها، وإحكام السيطرة على المجتمع، وبالتالي الإيديولوجيا هي تعبير عن مصالح الطبقة البرجوازية في المجتمع وسياستها في الحكم.[3]

كما يتضمن المفهوم الإيديولوجي معنى وجود فكرة الصراع الطبقي الذي يعبر عن حالة التناقض الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع، التناقض النشط والحيوي تتوقف نتائجه على حالة المجتمع في المستقبل، التي بدورها تحمل بذور التناقض والصراع، وهكذا يصبح الصراع الطبقي محرك للتاريخ وأداة التغير الفعالة.

[1] - Denis collin, ***comprendre*** Marx, ed : Armand Colin, 2009. P 38.

[2]- عامر مصباح، مرجع سبق ذكره، ص 52.

[3]- المرجع نفسه، ص 54.

ماكس فيبر/ 1864-1920

تمهيد:

ماكس فيبر أحد العلماء الموسوعيين والملمين بعلوم عدة، درس الفلسفة والتاريخ والاقتصاد وعلم اللاهوت والجماليات وغيرهام ن المعارف، ثم أسس مجموعة من العلوم الحديثة منها علم الاجتماع وعلم الإدارة الحديثة وعلم السياسة، وفي دراسته للمجتمع اتّبع مساراً بحثيا يدمج فيه كل العلوم والمعارف في بوتقة بحثية واحدة لفهم الظواهر المجتمعية وتفسيرها وتأويلها، فكان مبادراً بتأسيس السوسيولوجيا الفهمية أو التأويلية، وأول منظري البيروقراطية، والترشيد العقلاني، لهذا لا يمكن لأي دارس أو باحث في العلوم الاجتماعية أني يستغني عن دراسة الأسس النظرية التي جاء بها ماكس فيبر حول المجتمع.

أولاً: التعريف بماكس فيبر و سيرته الذاتية

ولد ماكس فيبر في مدينة إرفورت بألمانيا عام 1864 في وسط عائلي بروتستانتي ثري، وعائلة تضم صناعيين وموظفين كبار وأساتذة جامعيين. وكان والده أحد الأعضاء في الحزب القومي الليبرالي وهو حزب المثقفين والطبقة البورجوازية. وبالتالي فقد نشأ في بيت علم وسياسة وفكر. ومنذ شبابه الباكر قرأ ماكس فيبر لكبار المفكرين من أمثال ماركس، ونيتشه، وهيغل وكانط. واصل فيبر دروسه في كلية الحقوق والاقتصاد، وقدم أطروحة الدكتوراه عن المجتمعات التجارية في القرون الوسطى بدرجة الشرف الأولى. ثم عين أستاذا في جامعة فرايبورغ (1894) وجامعة هايدلبرغ (1896) حيث درس علم الاقتصاد السياسي. ثم انسحب من التدريس الاكاديمي بعد معاناته من انهيار عصبي عام 1898[1]، غير أن ذلك لم يؤثر على تدفق كتاباته، التي قدم مجموعة كبيرة منها.

في عام 1904 أسس ماكس فيبر مجلة كان لها دور في تطوير نظريات علم الاجتماع لاحقا. عنوانها: أرشيفات العلوم الاجتماعية والعلوم السياسية. ثم شارك عام 1910 في تأسيس الرابطة الألمانية لعلم الاجتماع. وبعدئذ انخرط ماكس فيبر في العمل السياسي المحض وأصبح معارضا سياسيا للإمبراطور "غليوم الثاني" وعضوا فاعلا في الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني. وقد شارك بعد الحرب العالمية الأولى كعضو في الوفد الألماني إلى مؤتمر السلام الذي انعقد في فرساي عام 1919. وتولى بلورة دستور جديد للجمهورية الألمانية. ثم منح له كرسي علم الاجتماع في جامعة ميونيخ عام 1918. ولكنه مات بشكل مفاجئ ومبكر عام 1920، تاركا ثروة معرفية لا تنضب تم جمع بعضها بعد وفاته، مثل كتابه حول "الاقتصاد والمجتمع"، الى جانب كتاب "الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية"، فقد كان فكره حصيلة للوسط الثقافي الذي عاش فيه والمتميز بالانتعاش والازدهار علمي او فكريا وأدبيا وفنيا.

أولاً: الأسس العلمية لفكر ماركس فيبر

يعد ماكس فيبر من السوسيولوجيين الأوائل الذين أخذوا بمنهج الفهم التأويلي، ومن هذا المنطلق يعرِّف علم الاجتماع بأنه العلم الذي يحاول تحقيق الفهم التأويلي للفعل الاجتماعي، مستهدفا ضمان تحقيق الموضوعية والحياد العلمي، ويقصد بمنهج الفهم هو محاولة تقديم تفسير للأفعال الاجتماعية من خلال التعرف على دوافع ومقاصد الفاعلين في موقف تاريخي ورمزي معين. أي التركيز على الذات بدل الموضوع لدراسة الفرد في علاقته بأعضاء الجماعة التي ينتسب إليها، أو مختلف

[1]- محمد أحمد بيومي، مرجع سبق ذكره ، ص 163.

الدلالات والمعاني والمقاصد والغايات والنوايا التي يعبر عنها هذا الفعل الإنساني والسلوكي في علاقته بأفعال الآخرين، فالأفراد يؤثرون في المجتمع بأفعالهم الواعية والهادفة، والمجتمع بدوره يؤثر في الأفراد، وهذا ما أطلق عليه المدخل التفاعلي للمجتمع الذي يتجه عكس المدخل الوظيفي الذي ينفي دور الفرد في تأثيره على المجتمع ويقتصر على تأثير المجتمع في الفرد.

أولا: السّوسيولوجيا الفهميّة ودراسة الفعل الاجتماعي:

يبدأ فيبر بتعريفه المشهور للسّوسيولوجيا الفهميّة بوصفها ذلك العلم الذي ينبغي أن يفهم معنى الفعل الاجتماعي، وبالتالي يفسر سببيًا حدوثه وبواعثه ومؤثراته، وبهذا المعنى فإن السّوسيولوجيا عند فيبر هي علمٌ خاص بالفعل الإنساني الاجتماعي، أي العلم الثّقافي الذي يقدم تفسير للأفعال الاجتماعية من خلال التعرف على دوافع الفاعلين الذاتية التي تدفعهم للقيام بالفعل ضمن موقف تاريخي ورمزي معين[1]، أي تسعى لفهم مقاصد وبواعث وأسباب الفعل، ثم تفسيره بصورة مترابطة.

تعريف علم الاجتماع عند فيبر: يعرف فيبر علم الاجتماع بأنه ذلك العلم الذى يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي، لكى يتمكن من تقديم تفسير سببيا لمجراه ونتائجه». ويقصد فيبر بالفعل الاجتماعي هو أى سلوك إنساني يعطيه الفرد معنى، فالفعل يختلف عن النشاط من حيث أن الفعل، يتضمن فكرة أو هدف وله معنى وباختصار فإن فيبر يجعل محور علم الاجتماع يدور حول تفسير الفعل الاجتماعي، أي الوصول إلى المعنى أو القيمة من وراءه، ويذهب تيماشيف إلى أن فيبر جعل المهمة المتخصصة لعلم الاجتماع هي تفسير السلوك فى ضوء المعنى الذاتي، وأن موضوع دراسة هذا العلم هي الظواهر التي يمكن فهم الظواهر فهما ذاتيا.[2]

موضوع السوسيولوجيا الفهمية عند فيبر: هو دراسة الفعل الاجتماعي الهادف ذو المعنى، فلا يكون الفعل فعلا اجتماعيا إلا إذا كان يحمل في ذاته معنى أو هدف ما، وكان له تأثير في سلوك الآخر الذي يعيش معه في المجتمع نفسه أي هناك علاقة تأثر وتأثير في إطار التفاعل الاجتماعي.

ونشيرَ هنا إلى أنّ فيبر اتبع منهجية لفهم ودراسة الواقع الاجتماعي على مستويين:

المستوى الأول: الفهم العلمي التفسيري

ويقوم على أساس اعتبار أن الظواهر والأفعال الاجتماعية خاضعة لمبدأ السببية، أي دراسة النظم الاجتماعية التي تعكس الأبعاد المؤسساتية للواقعة الاجتماعية.

المستوى الثاني: الفهم على مستوى المعنى:

ويقوم على أساس فهم الفعل الفردي، ويركز فيبر على هذا المستوى حيث يسعى إلى فهم المعنى المقصود الّذي أراده الفاعل من هذا الفعل أو البواعث الكامنة خلف قيامه بهذا النّشاط، ويتطلب هذا المستوى دراسة العلاقة الاجتماعية الّتي تجري بين الفاعلين في إطار الحياة الاجتماعية، وأثرها على تشكيل توجهات الأفراد نحو الأفعال الاجتماعية، ويتم ذلك بدراسة العلاقات المتبادلة وتفسير ما وراء العلاقات السببية الوظيفية وفهم المقاصد والنوايا من الفعل، كما لا يمكن فهم هذا الفعل السلوكي إلا في سياق تاريخي معين وضمن ثقافة معينة مرتبطة بمجموعة من القيم المتعارف عليها.[3]

لهذا فالمعاني والمقاصد تصبح ذات قيمة ويبدو ذلك في تفريقه بين مفهوم السلوك الإنساني والفعل الاجتماعي.

---

[1]- خالد حامد، مرجع سبق ذكره، ص 88.

[2]- محمد أحمد بيومي، مرجع سبق ذكره، ص 163.

[3]- محمد أحمد بيومي، مرجع سبق ذكره، ص 163.

الفعل الإنساني: هو السلوك الذي يربطه الفاعل بمعنى ذاتي، وبهذا فإن فيبر يعتبر الفعل الإنساني هو كل سلوك أو نشاط يمكن أن ننسب إليه قصد أو معنى ذاتي لتبرير ما قام به الفاعل من نشاط ما.

الفعل الاجتماعي: هو أحد أنواع الفعل الإنساني، لكن لديه خصوصيّة تميزه عن غيره من الأفعال، حيث يكون الفعل اجتماعيًا **إذا تعلق المعنى الذاتي المقصود من قبل فاعله بسلوك الآخرين**، الذين يوجهون حدوثه".

ويعتبر الفعل الاجتماعي هو الاطار الأساسي للتحليل السوسيولوجي عند فيبر يتضمن الدافع والسلوك حين يرتبط بالوسائل والغايات، أي أنه ربط السلوك بمساره التاريخي وخلفيته الاجتماعية والسيكولوجية وأهدافه، ويقصد به سلوك الفرد أو الإنسان داخل المجتمع مهما كان ذلك السلوك ظاهرا أومضمرا ،صادرا عن إرادة حرة أو كان نتاج الأمر خارجي، ومن ثم يتخذ هذا الفعل أثناء التواصل والتفاعل معنى ذاتيا لدى الآخرين، أي أنه يعكس الإجابة عن سؤال أساسي وهو "**كيف يرى الناس سلوكهم ويفسرونه**"

ثالثا: المساهمات السوسيولوجية لماكس فيبر

1- دراسة أنماط الفعل الاجتماعي

يفترض فيبر وجود أربعة أنواع من الفعل وهي بمثابة أنماط مثالية للفعل

أ- الفعل العقلاني الموجه بأهداف عقلية: هو كل فعل اجتماعي يقوم به الفاعل بعد تحديد الوسائل والشروط الصّحيحة الّتي تمكّنه من بلوغ الأهداف المسطرة بصورة عقلانيّة، فهو يدرك علاقة التّرابط بين السّبب والنّتيجة، فمثلًا من أراد أن يشتري سيارة جديدة، فعليه أن يحسب حسابه أن عليه العمل بجد لجمع المبلغ المطلوب، ثم متابعة العروض الّتي تُقدِّمها وكالات السّيّارات، ثم عليه أنْ يحدِّد ما يريد شرائه في حدود إمكانياته المالية، وهكذا عليه أن يحسب كل خطوة بموضوعية، ويتخذ الإجراءات العملية للوصل إلى هدفه أو غايته. وهذا النّوع من الأفعال الاجتماعية أغلب ما يكون في مجال النّشاط الاقتصادي والتقني.

ب- الفعل العقلاني الموجه بالقيم: وهو كل فعل ذا طابع اجتماعي يقوم به الفاعل على خلفية توجهه بقيمة أخلاقية أو بتعاليم دينية أو مذاهب فكرية، وذلك بصورة عقلانية محسوبة. فمثلًا عندما يُقدِمُ شخص ما، بالتعاون مع مجموعة ما، بتأسيس جمعية خيرية تجمع التبرعات لصالح فقراء طائفة أو دين أو مجتمع يربطهم به وشائج مشتركة.

ج- الفعل الموجه بالعواطف: هو جميع الأفعال التي يكون الباعث الموجه لها، نابع من العاطفة، سواءً أكانت عاطفة إيجابية أم سلبية. فمثلًا عندما تحمي الأم أبناءها من اللعب خوفا عليهم من أضرار اللعبة

د- الفعل الموجه بالتقاليد: هو كل فعل اجتماعي قائم على خلفية التأثر بالتقاليد والعادات الخاصة بالجماعة[1]. فمثلًا طقوس المواسم والأعياد، اللباس، أنواع الطبخ التقليدي...

بالإضافة الى هذه النماذج يرى ماكس فيبر أن الفعل الاجتماعي يمكن أن يتوجه بعدة بواعث في آن واحد: مثال ذلك فعل "شراء المواد الغذائية من السوق" لديه عدة بواعث:

- باعث عقلي: مراعاة الجانب الصحي تبعا لقواعد الغذاء المتوازن كما أثبتته الأبحاث الطّبية وعلوم التغذية.

[1]- خالد حامد، مرجع سبق ذكره، ص 90.

- باعث قيمي: شراء السلعة تبعا للقيمة الاستعمالية للسلعة أو القيمة التبادلية أو الحقيقة الت تجعلها أحسن من أخرى في نظر المشتري
- باعث عاطفي: الميول العاطفية نحو اللون أو الذوق أو العلامة التجارية...
- باعث تقليدي: حسب عادات وتقاليد ألفها الفرد وتوجه سلوكه نحو شراء السلعة دون اختيار البديل الأكثر منفعة.[1]

❖ خصائص الفعل الاجتماعي:

أ- **أن يأخذ الفاعل في حسبانه حضور الآخرين:** أي حضور آثر الآخرين في مقاصد الفعل وفي المعنى الذاتي الذي يضفيه الفاعل على فعله، ويقصد بـ"الآخرين" المجتمع بكل تأثيراته وتصوراته المسبقة والمتوقعة لأفعال الأفراد

ب- **أن يكون ذو معنى ودلالة جمعية: أي أن** يكون للفعل قيمة رمزية ذات دلالة جماعية، بمعنى أنه مفهوم من كل الأطراف ويدخل ضمن سياق التواصل والتفاعل بين الأفراد (أي وجود الفعل ورد الفعل) .

❖ النموذج المثالي :

يذهب فيبر إلى أن هناك أنواع أخرى من الأفعال والعلاقات الاجتماعية التي لا يمكن التوصل إليها عن طريق المشاركة أو التفحص الوجداني، ولهذا يقتضى دراسة هذه الأنواع من الأفعال والعلاقات وجود أداة منهجية أطلق عليها فيبر النموذج المثالي أو النموذج الخالص.

"النموذج المثالي هذه العبارةتشمل كل نظرية تتعامل مع سلسلة من الأشكال الاجتماعية منها الاقتصادية مثلا باعتبارها تتعاقب وفقًا لقانون التحول. هذا النوع من البناء إذا تجاهلنا خصائصه النفعية يؤدي الى اللارتباك والتضارب بين النموذج المثالي والواقع، كما يساعد النموذج العلماء على استخدامه دون احتياط للبحث في الحقائق التاريخية عن توضيحات لمنطق التنمية المفترض، حتى لو كان ذلك يعني فرض البيانات التجريبية عندما تقاوم الإدماج بموجب القانون[2].

ويعرف فيبر النموذج المثالي أو الخالص بأنه تصور عقلى يتشكل من خلال ظهور أو وضوح سمة أو أكثر من صفات وخصائص الأشياء أو الظواهر موضع الملاحظة في الحياة الواقعية بمعنى أن هذا الشكل النموذجى المتصور والذى يطلق عليه مثالي، هو تصور عقلي قد لا تجد له مثيلاً في الواقع، فالظاهرة التي نضعها في مخيلتنا قد لا يوجد لها نظير فعلى فى الحياة. كذلك فإن النموذج المثالى ليس غرضًا، إنما هو أداة أو سيلة لتحليل الأحداث التاريخية الملموسة والمواقف. وهذا يقتضى أن يكون النموذج المثالي محدد حتى يمكننا أن نقارن به المواقف الواقعية فى الحياة أو الأفعال التي تدرس[3].

هنا فيبر يرى أن هدف النموذج المثالي هو لمعرفة العلاقة بين المتخيل النظري والتحليل الامبريقي في اعمال الباحثين في التاريخ ، حيث يجد فيبر أن لغة هؤولاء تحمل عدد كبير من المصطلحات والتعابير ذات المعنى الحدسي ولكن لا يمكن تحديدها بوضوح فقط من خلال شرح البناء المثالي الذي يقوم عليها. بل يعطي أمثلة متنوعة، بما في ذلك المصطلحات العامة مثل "التقليد" أو "الدولة" أو "الفردية"، أو بعض التعابير الدلالية مثل الاقتصاد الحضري للقرون الوسطى...الخ [4]

ثانيا: أنماط السلطة والهيمنة في المجتمع

1- **الهيمنة التقليدية:** توجد في المجتمعات التقليدية وتتأسس مشروعيتها على قداسة التقاليد والأعراف، وتكون إلزامية جبرية حيث لا يمكن مخالفتها لأنها تستند الى قوة القداسة الاجتماعية أو الدينية كمصدر قوة، مثل السلطة الأبوية أو سلطة الأسياد.

---

[1] -Philippe riutor, **Precis de lasociologie**,t 3, ed : puf.2014.p 84.

[2]-Catherine Colliot-Thélène، **La sociologiede Max Weber**، Ed : La Decouverte، paris، 2006، p 45.

[3]-محمد أحمد بيومي، مرجع سبق ذكره، ص 166.

[4]-Catherine Colliot-Thélène، **op. cit**، p 41.

2- **السلطة الكاريزمية:** هيمنة فردية يؤسسها الزعماء وقادة المجتمع من رجال الدين والسياسة والعلم والفكر، تظهر في شخصية البطل أو الزعيم أو النبي أو القائد الملهم، فهي تتميز بصفات وقدرات خارقة كالإلهام والسحر، وتقوم على قوة الاقناع والقدرة على تجميع وتوحيد حشود المجتمع على قيم موحدة ويسودها مبدأ الطاعة العاطفية اللاشعورية، وتوجد في المجتمعات ذات السلطة الأحادية.

3- **السلطة العقلانية:** تستند الى سلطة القانون القطعي الصريح اللاشخصي القائم على الكفاءة الوظيفية والترشيد العقلاني (الأخذ بالمنفعة وتقليل المضار)، ولا يتم الوصول الى عن جدارة واستحقاق، وتميز المجتمعات الحديثة البيروقراطية[1].

ثالثا: التنظيم البيروقراطي

حلل ماكس فيبر ظاهرة البيروقراطية من خلال تناوله نظم البيروقراطية في الحضارات القديمة كالحضارة المصرية والصينية والهندية والرومانية، إلى أن وصل إلى المجتمعات الرأسمالية الحديثة. فقد اعتبر البيروقراطية أحد أشكال التنظيم الاجتماعي الرسمي القائم على أساس التدرج التصاعدي. فالبيروقراطية تعني - بالنسبة لماكس فيبر ، مجموعة الأنساق القانونية للسلطة التي تمارسها المنظمات الكبيرة الحجم والتى تعتمد على الرسمية والموضوعية والرشد في بناء أنظمتها الإدارية، ومن خلال تحليله الاجتماعي، يرى فيبر أن البيروقراطية تأخذ شكلين رئيسيين هما :

1 بيروقراطية المنقذ /الكاريزماتية: وهي نوع من التنظيم القائم على أساس مركزية فرد يتميز بسمات شخصية فذة ونوعية تختلف عن سمات شخصية الإنسان العادي، فهو يملك قوة خلاقة مبدعة يدير من خلالها البيروقراطية، مثل القائد السياسي والعسكري.

2) البيروقراطية القانونية - المنطقية: وهي النظام القائم على القواعد القانونية ويوجه نشاطه لخدمة المجتمع وتسهيل حياة الأفراد. وهذا التنظيم البيروقراطي يتميز بمجموعة من الخصائص :

- وجود سلسلة من المراكز الوظيفية المتخصصة.
- وجود تعليم تدرجي للمكاتب الرسمية، وتحديد دقيق للسلطة، ومسؤوليات كل مكتب وتحديد لنوع الحمالات هذه المكاتب بعضها ببعض.
- عمليه انتقاء لموظفي مكتب الأفراد مبنية على أساس الكفاءات المهنية والفنية والإدارية وتخصصات إدارية ونفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية.
- تحديد الأبعاد سلطة الأفراد الذين يشغلون مراكز وظيفية في التنظيم البيروقراطي
- تحديد واضح لنوع العلاقات، وطبيعة الاتصالات بين الأفراد الذين يشغلون المراكز الوظيفية.
- مراكز التنظيم البيروقراطي ومكاتبه ليس ملكا لأحد أو يتبوؤها الأفراد بالوراثة وإنما عن طريق الانتخاب
- تتميز الاتصالات داخل التنظيم البيروقراطي والقرارات المتخذة بأنها مكتوبة في سجلات رسمية

فالبيروقراطية بالنسبة لفيبر هي نموذج للهيمنة القانونية على المجتمع. ويقوم النظام البيروقراطي على مجموعة من المبادئ الأساسية [2].

[1]- المرجع نفسه ، ص 168.

[2]- عامر مصباح، مرجع سبق ذكره، ص 88.

وتدل كلمة البيروقراطية على القوة والسلطة والنفوذ والسيادة، وقد ظهرت البيروقراطية لتنظيم الإدارة والعمل وتسهيله والتحكم فيه برمجةً وتخطيطا وتدبيرا وتوجيها وقيادة وإشرافا وتقويما. فهي نتاج للرأسمالية والعقلانية والحداثة الغربية، ونتاج لتقسيم العمل وتنظيمه إداريا.

ويعتبرها فيبر بمثابة النمط الخالص للهيمنة الشرعية القانونية العقلانية، حيث تعتمد سلطة المؤسسة على الكفاءة ضمن اطار وضع التدابير الموضوعية المدروسة مسبقا غير ذاتية، وينقسم تنفيذ المهمات الى وظائف متخصصة ذات حدود منهجية، كما يتم تسيير المهام بدلائل وقرائن موضوعية لا فردية تكون مستندة الى الأهلية والكفاءة والخبرة.

يوّجه هذا النمط الى تنظيم المؤسسات على اختلافها عامة او خاصة صغيرة او كبيرة، سواءً كانت صناعية أو خدمية أو الثقافية الدينية، حيث تتصف البيروقراطية بنمط إداري محاسبي ، ونمط تنظيمي قائم على عقلنة الأهداف والوسائل، وذلك باستخدام العلوم والتقانة والتحول الى النظام الفكري العلماني.

ويمكن استنتاج ثلاثة مواقف إزاء البيروقراطية:

موقف سلبي :مفاده أن البيروقراطية تنظيم إداري روتينيا ومعقد وبطيء في أداء الخدمات العامة، مما دفع البعض إلى القولبأن البيروقراطية هي "السلطة الكبرى التي يمارسها الأقزام "

موقف إيجابي : ينظر إلى البيروقراطية كنظرية متميزة، على أساس أنها طريقة في تنظيم العمل وتدبيره وفق خطة عقلانية هادفة ومن ثم، فهي نموذج للحرص والدقة والكفاءة والفعالية الإدارية، مادام هناك احتكام إلى التعليمات والأوامر والإجراءات التنظيمية الصارمة.

موقف وسط واعتدال: ويمثله ماكس فيبر،إذ ذكر سلبيات البيروقراطية وإيجابياتها وحذر من التطور غير المدروس للبيروقراطية الذي يؤدي الى تحولها الى أسلوب لممارسة القوة والسلطة والرقابة دون مراعات إنسانية وكرامة الانسان لدرجة تضيع معها الحقوق والمصالح الفردية للأشخاص.

كما ركز فيبرعلى مبدأ الترشيد العقلاني: يعتمد هذا المبدأ على تبني أساليب التفكير العقلاني التي تأخذ في الاعتبار معايير الكفاءة وتوقعات المستقبل القائمة على تنمية العلوم وتطور التقانة ونمو البيروقراطية، وبهذا فالترشيد هو تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية انطلاقا من مبادئ الكفاءة المرتكزة على المعرفة العلمية، رغم ذلك لم يكن فيبر متفائلا بنتائج الترشيد العقلاني، وتنبأ فيبر بالآثار الخانقة للبيروقراطية وتدمير روح الإنسانية، ومضاعفاتها على مصير حرية الانسان[1]

رابعا: سؤال الحداثة والدين: يتسأل فيبر عن علاقة الحداثة بالمؤثرات الثقافية وخاصة الدين، واستخرج هذه العلاقة من محاولته معرفة لماذا ظهرت الحداثة في الغرب وما يميزها من حركة علمية والتكنولوجيا والبيروقراطية والرأسمالية دون باقي المجتمعات[2].

ويحدد فيبر في كتابه "الاقتصاد والمجتمع" بعض المفاهيم التي نشأت عليها الحداثة، كالفعل الاجتماعي والنظام الشرعي وما يترتب عليه من المتغيرات كالنضال والطائفية، الجتمعة/المجتمعية sociétisation والقوة والهيمنة، العمل الاقتصادي،

[1] - أنتوني غيدنز، مرجع سبق ذكره، ص 72.

[2]- عامر مصباح، مرجع سبق ذكره، ص90.

والمنفعة، والعقلانية الشكلية، وعقلانية الاقتصاد المادي، واقتصاد المعاملات/الاقتصاد المخطط والجوانب الاجتماعية الأساسية للاقتصاد[1]

كم يرجع فيبر الحداثة الى ذلك الى ظهور تيار عقلنة العالم كتيار فكري شامل لكل الظواهر، أي دراسته بشكل علمي موضوعي بعيدا عن الميتافيزيقا واللاهوت، وهنا أكد فيبر على علاقة العامل الديني حيث بين دور مذهب الكالفنيين المسيحيين، الذي ساهم في ظهور النظام الرأسمالي في أوروبا الغربية، حيث نبعت الرأسمالية من الأخلاق البروتستانتية التي تشدد على ان العمل والمبادرة والتنافس والكسب المثمر وتنمية الرأسمال والاقبال على الحياة ومتعها وجمع الثروات، وذلك لأن معتقدات هذا المذهب ترى أن النجاح الدنيوي يرتبط بالعمل والمثابرة لنيل الخلاص الأخروي، بالتالي اصبح مسار المتدين الكالفيني يتحتم عليه اتباع نظاما محددا وطرق منظمة لتحقيق النجاح، فساهم ذلك في إبراز قيمة المبادرة الفردية وأهمية العقلانية والترشيد في الاستثمار والإنتاج والاستهلاك والعمل، وإدانة التكديس والاسراف، ويرى فيبر أن هناك توافق بين السلوك الديني الكالفيني والسلوك العلماني لدرجة أن أصبح توجها أخلاقيا تنظيميا لحياة أكثر نشاط وانضباط. في حين تبعد الكاثوليكية الإنسان عن الدنيا، وتحثه على الزهد والرهبنة والاعتكاف الديني، بعيدا عن مشاغل الحياة ومشاكلها المادية، مما أدى الى خمول اتباعها وعدم تطورهم مقارنة بالبروتيستانت[2].

أما فيما يخص الديانات الشرقية، فقد اعتبرها ديانات لاعقلانية، تسودها أفكار خرافية وسحرية معادية للعقل والمنطق، ولذلك لم تتطور الأوضاع الاقتصادية في البلدان التي تنتشر فيها هذه الديانات، نظرا لافتقادها إلى العقلانية في التخطيط والتدبير والتنظيم والتفكير حسب رأي فيبر[3]

بهذه الدراسة اثبت فيبر دور المعتقدات الثقافية في عملية التغير الاجتماعي وأن الرأسمالية لم تنبع من القوى الاقتصادية بل من المتغيرات الثقافية والروحية، أي عكس اتجاه ماركس الذي يرجعها الى الصراع المادي.

وخلاصة القول، يتبين لنا أن ماكس فيبر رائد علم الاجتماع الفهمي التأويلي، حيث أثبت أن علم الاجتماع هو الذي يدرس الفعل الفردي أو سلوك الإنسان عن طريق منهج الفهم والتأويل، بالتالي اعتبر أن علم الاجتماع هو علم تفاعلي بين الفرد والمجتمع حيث يؤثر كل واحد منهما في الآخر، وعلى أساس هذا التفاعل يحدث التغير الاجتماعي.

كما تستند سوسيولوجيا ماكس فيبر إلى الجمع بين الخطوات المنهجية الثلاث: الفهم، والتفسير، والتأويل، وبين أن النموذج المثالي في دراسة الظواهر المجتمعية، هو أساس أو قالب فكري قائم على مجموعة من المفاهيم لوصف الظاهرة المجتمعية، برصد المكونات الجوهرية والبارزة والسمات الرئيسية والثانوية المميزة لثقافة الأفراد.

ولم يقتصر عمل فيبر على علم الاجتماع، بل اهتم بالدراسات الإدارية (البيروقراطية)، والدراسات السياسية(أشكال الهيمنة)،والدراسات الدينية(علاقة الاقتصاد الرأسمالي بالعوامل الروحية)، بالإضافة الى الاهتمام بالفن الموسيقي كأفعال ثقافية لها أثرها على المجتمع، كما اهتم كذلك بسوسيولوجيا العمل والتنظيم وسوسيولوجيا التربية. وبهذا فقد كان موسوعيا وملما لجوانب الحياة الاجتماعية مما ساعده في استرجاع قيمة الفرد في البحث الاجتماعي.

---

[1] - Catherine Colliot-Thélène، op. cit، p 26.

[2]- حسام الدين فياض، **نظرية الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر**، مكتبة نحو علم اجتماع تنويري، د.م، 2018.ص 22.

[3]- جميل حمداوي، **جهود ماكس فيبر في السوسيولوجيا**، شبكة الألوكة، 2015. ص 24.

المحور الثالث: المداخل النظريات الكبرى في علم الاجتماع

أولا: المدخل الخلدوني

ماذا نستخلص من السيرة الذاتية لابن خلدون؟ أنه كان شخصا متميزا بارزا في عصره، فمنذ صغره تميز بحكمته ونبوغه في العلم وحنكته السياسية وكفاءته في تولي المسؤولية وتسيير شؤون الحكم، بالإضافة إلى تنقلاته وأسفاره بين المشرق والمغرب وانخراطه في الحياة العامة ومعايشته للمجتمعات، كل ذلك زاده اطلاعا واستكشافاً لطبائع وأحوال الناس، وجعله يكتسب خبرة وقدرة على فهم الوقائع وتحليها بمنطق موضوعي ووصفها كما هي حقيقة دون مزايدات فلسفية أو أحكام أيديولوجية، وهذا يعد تميزاً وامتيازاً له كمفكر فذ بمقاييس العلماء العصريين مقارنة بالمفكرين الاجتماعين في عصره، مما جعله رائدا في إخراج التفكير الاجتماعي من حالة التأمل الفلسفي إلى رحابة التفكير العلمي وبناء أسس لعلم جديد هو علم العمران البشري المسمى حاليا علم الاجتماع.

رابعا: المنظور الخلدوني في علم الاجتماع

1/ العصبية ومراحل تطور الدولة:

استخدم ابن خلدون مصطلح العصبية واعتبره موضوعا لدراسة شاملة وعميقة للمجتمعات، حيث استعرض خصائصها وأشكالها وصورها المختلفة وأصولها وتتبع الأدوار التي تلعبها في حياة المجتمعات والدول بوجه خاص، كما أنه بيّنالجوانب المعنوية الفكرية والإيديولوجية والدينية، ودورها الإيجابي في التماسك والتقدم الاجتماعي والحفاظ على كيان الدولة، وخاصة العقيدة الدينية.

لقد جعل العصبية أساس الاجتماع الإنساني **ويقصد بها**: الشعور الذي يحس به الأفراد تجاه من يرتبط بهم، كالنسب وما تقتضيه عوامل الجوار والحلف والولاء، التي تدفع بأصحاب هذه العصبية بالذود عنها ضدما قد يهددها من اعتداء أو ظلم..... فهي أساس الحفاظ على كيان الدولة وتماسك قوتها واستمراريتها فهي أساس التغلب والتغلب أساسا الحكم[1].

ب- **أصولها**: يرجع ابن خلدون مصدر العصبية إلى الطبيعة البشرية وإلى أثر القرابة في الحياة الاجتماعية أي ذوي القربى والأرحام، فتجمعهم نزعة طبيعية وتدفعهم الى التعاون والتساند والحمية والتناصر والاتحاد والالتحام بينهم مما يجعلهم يشتركون في دفع العدوان وتأييد أنسابهم.

[1]- خالد حامد، مرجع سبق ذكره، ص 67.

أصول أخرى: قوة العصبية تختلف باختلاف درجة القربى فحدد ابن خلدون العصبية للنسب الخاص أي "الرحم"، والعصبية للنسب العام ويقصد بها "النعرة"، بالإضافة الى الانتماءات الأخرى التي تجمع بين الأفراد والجماعات مثل "الأحلاف" و"الولاء"، ويرى ابن خلدون أن الأنساب تسقط من شعب لشعب ويلتحم قوم بآخرين ولهذا يوسع مفهوم العصبية من النسب الى الحلف والولاء، ويصبح معنى الالتحام إنما هو العِشرة والمدافعة وطول الممارسة.وقد بين أن العصبية في البدو أكثر قوة لأن النسب فيها يبقى محفوظا وصريحا بينما في الحضر فالعصبية ضمنية غير صريحة أي تتشكل بالحلف والولاء ويرجع ذلك لسببين:

- أن حياة البداوة يميزها الاعتزال وعدم اختلاط الأنساب، لأن البادية مكان الشظف والفقر ولا يشاركهم فيها الناس عكس المدينة

- أن حالة الاعتزال تلك تقتضي الدفاع عن الأهل والشجاعة لهذا تبقى العصبية لأهل نسب واحد

وعليه نستنتج هنا أن العصبية هي أشكال التضامن الاجتماعي في مختلف المجتمعات البدوية والحضرية ولديها أدوار مهمة وهي:

وقد اهتم "ابن خلدون" بدراسة حركة تطور المجتمعات ووجد أن هناك تشابها بين تطور المجتمع وتطور الكائن الحي الذي يبدأ بالميلاد كالطفل ثم يشب وينمو ثم يضمحل. إن ما يمكن استنتاجه أن هذه النظرة تعكس حقيقة الحياة السياسية في العالم الإسلامي بصورة عامة، التي بلغت فيها الأمة الإسلامية حالة من الوهن والضعف والصراع والتشرذم انتهت إلى استعمارها. وفي مجال تطور المجتمعات، يرى أن الدولة تمر بالمراحل التالية:

أ - حالة البداوة تكون فيها القبيلة هي الوحدة الأساسية، ويقوم تماسكها على أساس العصبية.

ب- حالة الملك عندما تقوى العصبية تزداد قوة الجماعة مما يشجعهم على الغزو والفتح وإقامة الملك، وبذلك يتطور المجتمع من حالة الرعبي والزراعة إلى حالة التحضر والعمران.[1]

وتلعب العصبية دورا رئيسيا في بناء وتطور المجتمعات فقد بين ابن خلدون أن للدولة أعمار طبيعية مثل أجيال البشر، وفي الغالب ثلاثة أجيال:

فالجيل الأول: يحافظون على عصبيتهم ويضلون على خلق البداوة وخشونتها من توحش وشظف العيش والشجاعة والاشتراك في المجد، فتكون قوتهم بشدة عصبيتهم واجتماعهم عليها وتكون لهم الرهبة والخضوع من المنتمين لهم.

الجيل الثاني: ينتقل من البداوة الى الحضارة ومن الشظف الى الترف ومن الاشتراك في المجد الى إنفراد الحاكم به مع كسل الأخرين على طلبه، وينغمسون في الرفاه والرذائل هنا تبدأ قوة العصبية تتراجع تدريجيا.

الجيل الثالث: هذا الجيل ينسى عهد البداوة والخشونة كليا لأنهم لم يعايشوها أساسا في حياتهم، ويستغنون عن العصبية ويصيرون كباقي المنتمون للدولة، ولا يهتمون بالدفاع على عصبية الحاكم فيضطر هذا الأخير الى اللجوء الى غير أهله

[1]- خالد حامد، مرجع سبق ذكره، ص 67.

لنجدته ويستكثر بالموالي والمصطنعين والمنشدين بمجد الحاكم رغم ضعفه، حتى يأتي من هو أقوى منه فينهار حكمه ويأتي عهد الانحطاط والزوال.[1]

2/ أشكال العمران البشري:

عرّف ابن خلدون العمران أنه "العمران من العمارة والتعمير وهو التساكن والتنازل في مصر(بمعنى مكان)، أو حلة أو حلة للأنس بالعشير واقتضاء الحجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش" ومنه فإن كلمة عمران هي الاجتماع الإنساني، وقد قدم ابن خلدون العمران البشري كنظرية حيث قسم المجتمع الى قسمين بدوي وحضري وحدد خصائص كل منهما:

ت- **العمران البدوي**: يصف البدو أنهم أولئك الذين يجتمعون ويتعاونون فيما بينهم لتوفير الحاجات الضرورية لمعاشهم من القوت والمسكن والملبس بالمقدار الذي يحفظُ الحياة، وبالتالي فإن العمران البدوي هو نمط من الحياة المجتمعية الذي ينشأ ويعيش أفرادها في ظروف بيئية صعبة ويمارسون أسلوب إنتاج أولي بسيط يقتصر على الحاجات الأساسية والضرورية، يسكنون في مناطق نائية كالضواحي والجبال والقفار والصحاري، وتكون العصبية القبلية جد قوية لأن مصدرها قرابة دموية، وهي الرابط الذي يحافظ على بقائهم وتماسكهم وحمايتهم من العدوان، لهذا يتميز أهلها بالشجاعة والأنفة، كما أنهم أقرب الى الفطرة فيتميزون بالكرم والخير، ولهذا اعتبر ابن خلدون البدو اصل الاجتماع البشري.

ث- **العمران الحضري:** يرى ابن خلدون أن الحضر في الأصل هم سكان البدو، نتيجة اتساع حكمهم بالسيطرة على القبائل الأضعف فيصبح الحضر مجموعة من العصبيات المندمجة تحت مضلة العصبية الحاكمة وقائدة الملك ويعيش من هم تحت سيطرتها في ظلها حتى تأتي عصبية أقوى تتغلب عليهم بعدما تتلاشى العصبية الخاصة (عصبية النسب)، فالحضر هم سكان المدينة الذين اتسعت أحوالهم وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفاه، وتتميز المدينة بنمط عيش يركز على الصنائع والحرف والتجارة ويهتم أهلها بالكماليات والمظاهر ويندمجون في حياة البذخ والرفاه. وتلوثت نفوسهم بكل ملذات الحياة فانهمكوا في الترف وتظاهروا بالشهوات والمعاصي، كما يعتمدون على الدولة لحمايتهم وتحقيق الأمن، عكس اهل البداوة لا يعرفون الشهوات إلاّ عند الضرورات[2].

3/ - منهجية ابن خلدون والأسس العلمية التي قامت عليها نظريته:

- اهتم ابن خلدون بدراسة الأحداث التاريخية وفق منهج التدقيق والتمحيص والشك في الأخبار، وقدم دراسة للمجتمع مشيرا إلى أن المجتمع يمر بثلاث مراحل تاريخية متباينة ومتصلة ببعضها، وكل مرحلة لديها خصائص تميزها، حيث شبه أطوار الدولة بأعمار الأشخاص الطبيعية.
- قسم المجتمعات إلى نمطين رئيسيين وحدد خصائص كل منها وفقا لدرجة تقدمها الحضاري والاقتصادي والثقافي، أطلق على الأول المجتمع البدوي والثاني المجتمع الحضري.
- اعتبار الاجتماع الإنساني ضروري لان الإنسان مدني بطبعه، مبرزاً مبررات الاجتماع في أن عدم كفاية الفرد لنفسه يدفعه إلى التعاون والاشتراك في حياة الجماعة، وهذا هو مبدأ دراسة الظاهرة وفق مبدأ السببية.
- دراسة الظواهر الاجتماعية بعناصرها ووظائفها وتطورها ومن ثم اكتشاف القوانين التي تخضع لها.

---

[1]- الحصري ساطع ، مرجع سبق ذكره، ص 244.

[2]- كرابية أمينة،.(**المجتمع البدوي ودوره في نشأة العصبية عند ابن خلدون-دراسة تحليلية نظرية للمقدمة**)، **أفاق فكرية**، المجلد 5، العدد 10، الجزائر: جامعة عبد الحميد ابن باديس، ماي 2019، ص135.

أولا: المدخل الوضعي وما تفرع عنه(النظرية الوظيفية، النظرية البنيوية، نظرية الفعل)

1- المدخل الوضعي:

يسعى المدخل الوضعي جاهداً إلى تأكيد الفكرة القائلة بأن العلم وحده هو الذي يملك الحقيقة، أي مجموعة العلوم الطبيعية التي تشكل في الواقع نقطة انطلاق أصحاب المدرسة الوضعية الحديثة سواء المتطرف منهم أو المعتدل أمثال لند برج وأجبرن، وقد سعى أصحاب المدرسة الوضعية الحديثة بكل الجد للبحث عن نظرة موحدة لعلم الظواهر طبيعية كانت أو إنسانية، وذلك من خلال تطبيق المناهج والنتائج التي توصلت إليها العلوم الطبيعية هذا وقد اعتبر تيماشيف أعمال المدرسة الوضعية الحديثة بمثابة محاولة جديدة في مشكلة قديمة واجهت علم الاجتماع منذ ظهوره ، فقد كان الهدف الأساسي للرعيل الأول من علماء الاجتماع - ولازال هدف مختلف العلماء والباحثين خلال مراحل تطور علم الاجتماع هو إرساء الدعائم العلمية لدراسة المجتمع[1].

ونحاول ادراج أهم النظريات المتفرعة عن المدخل الوضعي منها الوظيفية والنظرية البنيوية، ونظرية الفعل

2- الوظيفية ونظرية الإجماع:

يدرس المنظور الوظيفي بناء المجتمع وأدائه لوظائفه ويطلق على هذا المنظور في بعض الأحيان "البنائية - الوظيفية". ومن المفاهيم الأساسية نجد مفهوم البناء ومفهوم الوظيفة، هذه الأخيرة تعني ببساطة أثر أو محصلة عمل النظام الاجتماعي، ومن ثم فوظيفة الاقتصاد هي إنتاج السلع والخدمات بغرض الاستهلاك. وتؤكد الوظيفية بصفة عامة وأعمال بارسونز بصفة خاصة على أهمية الاجماع القيمي-الاتفاق على القيم الأساسية-كشرط لقيام المجتمع بأداء وظائفه على نحو فعال، وقد أثر فيبر ودوركايم بصفة خاصة على الوظيفية، إلاّ أنه يصعب إدراج أفكار ماركس ضمن هذا المنظور[2].

ترى المدرسة الوظيفية أن المجتمع نظام معقد تعمل شتى أجزائه سوياً لتحقيق الاستقرار والتضامن بين مكوناته. ووفقاً لهذه المقاربة، فإن على علم الاجتماع استقصاء علاقة مكونات المجتمع بعضها ببعض وصلتها بالمجتمع برمته. ويمكننا على هذا الأساس أن نحلل، على سبيل المثال، المعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية، بإظهار صلتها بغيرها من مؤسسات المجتمع لأن أجزاء المجتمع المختلفة تنمو بصورة متقاربة بعضها مع بعض، ولدراسة الوظيفة التي تؤديها إحدى الممارسات أو المؤسسات الاجتماعية، فإن علينا أن نحلل ما تقدمه المُساهمة أو المُمارسة لضمان ديمومة المجتمع. وطالما استخدم الوظيفيون، ومنهم كونت ودوركهايم مبدأ المشابهة العضوية للمقارنة بين عمل المجتمع بما يناظره في الكائنات العضوية.

ويرى هؤلاء أن أجزاء المجتمع وأطرافه تعمل سوياً وبصورة متناسقة كما تعمل أعضاء الجسم البشري، لما فيه نفع المجتمع بمجمله. وليتسنى لنا دراسة أحد أعضاء الجسم، كالقلب على سبيل المثال، فإن علينا أن نبين كيفية ارتباطه بأعضاء الجسم الأخرى ووظائفه. وعند ضخ الدم في سائر أجزاء الجسم، يؤدي القلب دوراً حيوياً في استمرار الحياة في الكائن الحي. وبالمثل،

[1]- علي بن عمر الكاشف، **النظريات الاجتماعية-اتجاهات والمذاهب الكلاسيكية المعاصرة**، نادي علم الاجتماع (كتاب رقمي) www.socioclub.net ص 148.

[2]- مصطفى خلف، عبد الجواد، **قراءات معاصرة في علم الاجتماع**، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، 2002. ص 138.

فإن تحليل الوظائف التي يقوم بها أحد تكوينات المجتمع يتطلب منا أن نبين الدور الذي تلعبه في استمرار وجود المجتمع ودوام عافيته.

إن المدرسة الوظيفية تُشدّد على أهمية الإجماع الأخلاقي في الحفاظ على النظام والاستقرار في المجتمع. ويتجلى الإجماع الأخلاقي هذا عندما يشترك أغلب الناس في المجتمع في القيم نفسها. ويرى الوظيفيون أن النظام والتوازن يمثلان الحالة الاعتيادية للمجتمع - ويرتكز التوازن الاجتماعي على وجود إجماع أخلاقي بين أعضاء المجتمع. إن دوركهايم، على سبيل المثال، كان يعتقد أن الدين يؤكد تمسك الناس بالقيم الاجتماعية الجوهرية، ويُسهم بالتالي في صيانة التماسك الاجتماعي.

وربما كان التفكير الوظيفي يحتل مكان الصدارة بين التقاليد النظرية في علم الاجتماع لوقت طويل، ولاسيما في الولايات المتحدة. وكان تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون، وقد نهل كلاهما من أفكار دوركهايم، وأبرز الداعين إلى هذا التيار، غير أن الشعبية التي كانت تتمتع بها المدرسة الوظيفية قد مالت إلى الأفول في الآونة الأخيرة بعد أن اتضح ما تعانيه من أوجه القصور والثغرات. ومن جملة ما يوجه لها من انتقادات أنها تُغالي في التشديد على العوامل المؤدية إلى التماسك[1]

لقد سعت البنائية الوظيفية إلى تفسير التوازن والاستقرار في المجتمع، وتجاهلت ما قد يتعارض مع أطروحتها من عمليات تثير التوتر، أو التفكك، أو الصراع، ومن بين ذلك القوة وتفاوتاتها وما ينشأ عنها من استغلال وصراع وتغير، أي كما هي مستخدمة في نظرية الصراع. ومن هذا المنطلق نظرت البنائية الوظيفية إلى المجتمع، كبناء مستقر وثابت نسبياً يتألف من مجموعة عناصر متكاملة مع بعضها، وكل منها يؤدي بالضرورة وظيفة ايجابية يخدم من خلالها البناء العام، وجميع عناصر هذا البناء تعمل في إطار من الاتفاقات المشتركة والاجماع القيمي، ويمكن متابعة استخدام مفهوم القوة وانعكاساته على المعنى في البنائية الوظيفية من خلال أبرز أعلامها، تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون، ومن ثم الوظيفية الجديدة عند جفري الكسندر[2].

- **مساهمات كونت ودوركايم وفيبر في الوظيفية:**

ميز كل من كونت ودوركايم بين الاستاتيكا الاجتماعية الاستقرار الاجتماعي، والديناميكا الاجتماعية التغير الاجتماعي)، وتشير الاستاتيكا الاجتماعية إلى بناء المجتمع (أي المعايير/ القواعد)، في حين تشير الديناميكا الاجتماعية إلى العلاقات القائمة بين مختلف أجزاء المجتمع، وهذا يتشابه مع تمييز الوظيفيين بين البناء والوظيفة. ومن أكثر الآثار عمومية لكونت ودوركايم على الوظيفية التزامها بتأسيس علم للمجتمع يناظر العلوم الطبيعية في دقتها.

وقد ترك كونت ودوركايم تراثاً للوظيفية يعكس وجهة نظر هما بأن المجتمع لديه قوة هائلة لتشكيل وصياغة أفكار أعضائه وسلوكهم، ويذهب دوركايم إلى أن علم الاجتماع هو دراسة طائفة من الوقائع، أي أساليب السلوك والتفكير والإحساس الخارجة عن الفرد، والمزودة بقوة القهر التي تسيطر بها عليهم"، ومن هنا فإن مهمة علم الاجتماع -في رأى دوركايم- هي تحديد قواعد المجتمع أو معاييره، وكيفية السيطرة على السلوك بواسطتها، ويضيف أن النظام الناشئ عن ذلك ضروري لقيام

[1] - أنتوني غيدنز، مرجع سبق ذكره، ص 74.

[2] - محمد عبد الكريم الحوراني، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار مجدلاوي، الأردن، 2007. ص 109.

المجتمع بوظائفه على نحو مرض، وقد أقر دوركايم بوجود الفردية، ولكنه ذهب إلى أنها ليست هي الموضوع الذي يدرسه علم الاجتماع فهذا العلم يختص بدراسة تأثير الأوضاع الاجتماعية على السلوك، مثل تأثير الأزمة الاقتصادية على معدل الانتحار.

وعلى النقيض من دوركايم لم يحاول معاصره -ماكس فيبر- فصل دراسة الفرد عن دراسة المجتمع، وفى رأيه أن هذا الفصل مستحيل، لأن الفرد والمجتمع يوجدان في حالة من التفاعل يمكن لكليهما فيها أن يغير من الآخر، وليس في حالة من الاستقلال، وتتأثر قيم الناس وأفكارهم بالمجتمع، كما أن الناس يغيرون من المجتمع أيضاً، وتفترض نظرية فيبر في الفعل الاجتماعي أن الفعل ذا المعنى هو نقطة البداية لعلم الاجتماع. وتعكس دراسته للتنظيم تقديره لقوة ما أسماه دوركايم "الوقائع الاجتماعية" في تشكيل حياة الناس، إلا أن تحليله للشخصيات الملهمة (الكارزمية) مثل لوثر ونابليون يعنى أنه أمن بنفس القدر أن شخصية الفرد وأفكاره يمكن أن يكون لهما تأثير بالغ على المجتمع[1].

3- النظرية البنيوية

البنيوية شكل من الأشكال النظرية أثر خلال الستينيات والسبعينيات في عدد من فروع المعرفة: كالفلسفة، والنظرية الاجتماعية، وعلم اللغة، والنقد الأدبي، والتحليل الثقافي، والتحليل النفسي، وتاريخ الفكر، وفلسفة العلوم، والأنثروبولوجيا وغيرها، ومن الصعب إعطاء تعريف جامع مانع لهذه النظرية خاصة، لأنها حققت لفترة منزلة تضاهي منزلة المذهب الديني. ولقد نشأت البنيوية أول ما نشأت في فرنسا، حيث يلعب المثقفون عموما دورا أكبر في الحياة العامة من ذلك الذي يلعبونه في بريطانيا وأمريكا، وحيث تستهوي أعمالهم في بعض الأحيان أتباعا يشكلون ثقافة خاصة بهم، واكتسبت الحركة أيضا أنصارا لها بين صفوف الأكاديميين الشباب في بريطانيا وأمريكا، فشقت سبيلا في مناخ فكري شديد الاختلاف عن ذاك الموجود في فرنسا وفي العادة، ترتاب الجامعات الأمريكية والبريطانية (بوجه الخصوص) من الأفكار التي تنبت في فرنسا وألمانيا؛ وتعتبرها أفكارا غامضة وتأملات تملأها الرطانة، ولقد تعرضت البنيوية إلى النقد لهذه الأسباب على وجه الخصوص، وكانت استجابة النظرية في هذين القطرين مشابهة لردة الفعل التي تحدثت عنها في مدخل هذا الكتاب: حيث لاذ أصحابها بعالمهم الخاص، واتخذوا من الرطانة والتصعيب مناقب لهم، ومالوا إلى التعصب والجمود. وكما حدث في الصراع حول منهجية النظام الاجتماعي ، فقد قطعت أرزاق البعض منهم .[2]

تعتبر البنيوية، مثل علوم التأويل L'hermeneutique منشغلة بتأويل الاجتماعي من خلال الخطاب والشفرات الاجتماعية - الثقافية، غير أنها تتبنى إتجاها معاديا تماما للذاتية ولا تعتبر تجربة الفاعلين الاجتماعيين وظواهر الوعي موضوعات مشروعة للبحث السوسيولوجي. ما يحدث لدى البنيوية هو استبدال فهم الوقائع الاجتماعية بطريقة ذاتية من قبل الباحث بالبرهنة الموضوعية على ارتباطها لغويا أو رياضيا. فالعالم بالنسبة للبنيوية يتكون من ثلاثة حقول الواقعي والمخيالي والرمزي، تحقق البنيوية عودة جديدة إلى الموضوعوية، عن طريق انحيازها الأنطولوجي (تصور الوجود): فالعالم الاجتماعي - الثقافي عبارة عن إشارات، وشفرات سيميائية متنوعة كلام، طقوس ونصوص، أساطير، أيديولوجيات أما الإتجاهات والآراء فتنتمي إلى حقل

[1]- مصطفى خلف، عبد الجواد، مرجع سابق. ص 138.

[2] - إيان كريب، **النظرية الاجتماعية ومن بارسونز إلى هابرماس**. تر: محمد حسين غلوم ومحمد عصفور، عالم المعرفة- الكويت، 1999، ص 195- ص196.

المخيال الذي يحتل مكانة إبستيمولوجية أدنى فالإدراك عبارة عن مغالطة، وهو ساذج وسطحي (نقد) الإمبريقية أو الحسية، بينما لا تشكل التمثلات سوى أوهاما، ومصدرا المعرفة خاطئة (نقد المعرفة العامية أو الحس المشترك).

ويشكل الوصول إلى ما هو رمزي الضمان الوحيد لتحقيق قطيعة معرفية أو ابستيمولوجية حقيقية، ذلك أن العلم هو حقل الرمزي بامتياز. فالبنية عبارة عن نظام رمزي ذي ارتباطات غير معروفة لدى الفاعلين الاجتماعيين، لكنها تتحكم بكل منطوق، وبكل ممارسة ذات معنى ممكن، إنها (البنية) متجاوزة لتمثلات الفاعلين ومتضمنة في الدلالات الثقافية في آن واحد. هذه البنية عبارة عن كلية سيميائية إشارات لغوية ورموز ذات وجود مزدوج لأنها مسجلة في شبكة التسميات والمقولات الاجتماعية فكرة الواقعية البنائية، وتمثل بذات الوقت، مخططا أو برنامجا مسبقا للتفسير (فكرة الشمولية السيميائية)، إذا كان الاجتماعي ينبني على صيغة كلامية فإن البنية هي الواجهة الوسيطة بين النسق الاجتماعي الثقافي الملموس والنموذج الشكلي الذي يستخدمه عالم الاجتماع في بحثه. إنها (البنية) المجال الذي يلتقي فيه المحسوس مع المعقول أو المدرك القابل للإدراك). ويشير مفهوم البنية بالنسبة للظاهراتية "Phénoménologie إلى جوهر ذاتي مسجل في الواقع الاجتماعي[1]

4- منظور الفعل الاجتماعي

إذا كانت المنظورات الوظيفية والصراعية تؤكد أهمية البنى التي توجه المجتمع وتؤثر في السلوك البشري، فإن نظريات الفعل الاجتماعي تولي قدراً أكبر من الأهمية لدور الفعل والتفاعل بين أعضاء المجتمع في تكوين هذه البنى. ويبرز دور علم الاجتماع هنا في استيعاب المعاني التي ينطوي عليها الفعل الاجتماعي والتفاعل، لا تفسير طبيعة القوى الخارجية التي تدفع الناس إلى نمط معين من الأفعال. وإذا كانت المقاربات الوظيفية والصراعية تطرح النماذج النظرية حول الطريقة التي يعمل بها المجتمع برمته، فإن الملتزمين بنظرية الفعل الاجتماعي يركزون على تحليل الأسلوب الذي يتصرف به الفاعلون الأفراد أو يتفاعلون به فيما بينهم من جهة وفيما بينهم وبين المجتمع من جهة أخرى.

ويُشار إلى فيبر في أكثر الأحيان باعتباره أول الداعين إلى تبني منظور الفعل الاجتماعي. فرغم أنه اعترف بأهمية البنى الاجتماعية مثل الطبقات والأحزاب السياسية وأصحاب المكانة وآخرين، فإنه اعتقد في الوقت نفسه أن الأفعال الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد هي التي تخلق مثل هذه البنى. وقد جرى في وقت لا حق تطوير هذا الموقف بصورة منهجية في أوساط المدرسة التفاعلية الرمزية التي برزت وشاعت في الولايات المتحدة بصورة خاصة. وتأثرت هذه المدرسة بصورة غير مباشرة بأفكار ماكس فيبر غير أن أصولها المباشرة كانت في أعمال الفيلسوف الأمريكي جورج هربرت ميد (1863-1931)[2].

ويتضمن علم الاجتماع التأويلي على أسلوب التحليل السوسيولوجي قصير المدى Micro Sociological Analysis ، الذي يعتمد على ثلاثة منظورات أساسية هي التفاعل الرمزي، والظاهراتية والإثنوميثودولوجيا، إذ تمثل المعاني التي ينتجها الأفراد في تفاعلاتهم جوهر الأطروحة الأساسية لهذه المنظورات فيمكن اعتبارها منظورات في المعنى الاجتماعي أساساً. لقد ركز التحليل السوسيولوجي قصير المدى على أن الأنساق الاجتماعية كنتاجاً إنسانياً يتشكل (عملياً) بموجب تفاعلات الأفراد مع بعضهم،

[1] - جاك هرمان، مرجع سبق ذكره، ص ص 101-102.

[2] - أنتوني غيدنز، مرجع سبق ذكره، ص 76.

وهذه الفكرة تقف على الجانب الآخر من الوجود الاجتماعي الذي ركزت عليه البنائية الوظيفية، أي الأنساق ومستلزماتها، وطرق تحقيق تلك المستلزمات. منشغل

وتعتبر التفاعلية الرمزية أقدم تقاليد التحليل السوسيولوجي قصير المدى ويعود إلى هربرت بلومر H.Blumer سنة 1937 صك عبارة التفاعلي الرمزي، حيث يعرف هربرت بلومر Blumer في كتابه "التفاعلية الرمزية"، والتفاعل الرمزي بأنه خاصية مميزة وفريدة للتفاعل الذي يقع بين الناس، وما يجعل هذا التفاعل فريداً هو أن الناس يفسرون ويؤولون أفعال بعضهم بدلاً من الاستجابة المجردة لها، إن استجابتهم لا تصنع مباشرة وبدلاً من ذلك تستند إلى المعنى الذي يلصقونه بأفعالهم،

ويوضح بلومر أن المرتكزات المعرفية الأساسية للتفاعلية الرمزية تتمثل في أن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه بالنسبة لهم، أي من خلال المعاني المتصلة بها، وهذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني، ويتم تحويرها وتعديلها ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها.[1]

أهداف علم الاجتماع التأويلي:

- فهم وتفسير الواقع الاجتماعي من خلال أعين الفاعلين ونشاطاتهم والاهتمام بكيفية قيام الأفراد والجماعات بتأسيس المجتمع وإضفاء معنى عليه ومعايشة الحياة فيه بدلاً من الاهتمام بكيفية تأثير المجتمع على الأفراد.
- إعادة روح النزعة الإنسانية للعلوم الاجتماعية، التي افتقدتها في ظل فلسفة الاتجاه الوضعي الذي اتخذ كمبدأ أساسي لدراسة الواقع الاجتماعي من قبل الاتجاه البنائي.
- التأكيد على أن المعاني التي ينتجها الأفراد خلال عملية تفاعلهم الاجتماعي تمثل جوهر الأطروحة الأساسية لهذا الاتجاه التأويلي
- النظر إلى الأنساق الاجتماعية على أنها تمثل نتاجاً إنسانياً يتكون
- عملياً بموجب تفاعلات الأفراد مع بعضهم البعض.
- الابتعاد عن أي نظرة ترى بالمجتمع كياناً قائماً بذاته مستقلاً عن الأفراد المكونين له والتركيز بدلاً من ذلك تركيزاً فجاً على الأساليب التي يخلق بواسطتها البشر عالمهم الاجتماعي، والتنكر لكل القوى الخارجية التي يمكنها أن تمارس تأثيراً على الأفراد وتوجه سياقات المعنى في تفاعلاتهم باعتبارهم هم من يشكلون الحقيقة الاجتماعية
- تفعيل البعد التواصلي اللغوي والتفاهم العقلاني الهادف، الذي يؤدي بالأطراف المشاركة بالعملية التواصلية إلى محاولة تحقيق نوع من الاتفاق والإجماع المتبادل حول القضايا المطروحة للحوار في الواقع الاجتماعي.

المنطلقات النظرية لعلم الاجتماع التأويلي: ينطلق هذا الاتجاه في رسم حدوده النظرية من خلال عدة منطلقات رئيسية:

1- التركيز على تفاعلات الوجه لوجه الفاعلين الاجتماعيين عن طريق عملية التفاعل والتواصل بين الأفراد عن طريق اللغة أكثر من التركيز على الوحدات الاجتماعية المجردة (كالطبقات الاجتماعية).

[1] - محمد الحوراني، مرجع سبق ذكره، ص 28.

2- اعتبار اللغة من أهم الرموز اللازمة للتفاعل الاجتماعي. فالكائنات الإنسانية تتقاسم فيما بينها الرموز ذات الدلالة، بدليل أننا لا نفهم المعاني التي يقصدها أحد المتحدثين بلغة غير مألوفة وتكتسب الكلمات المعاني التي يقول الأفراد أنهم يقصدونها من هذه الكلمات.

3- التركيز على المعاني أكثر من الوظائف لذلك تحاول تفسير المعاني التي يلصقها الأفراد بأفعالهم. وهذا الفهم على عكس فهم البنائية الوظيفية لوظيفة الأنساق الاجتماعية (الجزء في خدمة الكل).

4- التركيز على الخبرة المعاشة أكثر من التركيز على المفاهيم المجردة (المجتمع المؤسسات) ، وبذلك تمثل تلك المدرسة اتجاهاً مغايراً يسعي نحو الابتعاد عن أي نظرة ترى المجتمع كياناً قائماً بذاته مستقلاً عن الأفراد المكونين له.

5- التركيز على الأساليب التي يخلق بواسطتها البشر عالمهم الاجتماعي. فالأفراد هم الذين يصنعون الحقائق الاجتماعية لتفسير ما يحدث في العالم الذي يعيشون فيه.

6- المعنى حسب هذه الاتجاه يتكون من خلال العملية الاجتماعية ويمكن وجود المعنى موضوعياً حتى في غياب الإدراك. مثال ذلك ففي مبارزة السيف تعتبر محاولة التجنب تأويلاً لمحاولة الطعن.

7- إنكار الاتجاه التأويلي لكل القوى الخارجية التي يمكن أن تمارس تأثيراً على الأفراد وتوجه سياقات المعنى في تفاعلاتهم وبشكل خاص بناءات القوة وعلاقاتها.[1]

ثالثاً: المدخل الماركسي وما تفرغ عنه، (النظرية الماركسية، النظرية الماركسيةالمحدثة)

1- نظرية الصراع الماركسية:

إذا كانت الوظيفية تقوم على افتراض أن الإجماع على القيم والنظام الاجتماعي بمثابة أمر عادي في المجتمع، فإن الماركسيين يرون أن الصراع على القيم والمسائل المادية أمر عادي في المجتمعات المنقسمة طبقياً. وهذا يعود -في رأى ماركس- إلى أن مختلف جماعات أو طبقات الناس لها حاجات أو رغبات مختلفة تجلب الصراع بينها في نهاية الأمر، ومع ذلك يعترف الماركسيون بأن المجتمعات المنقسمة طبقياً يمكن أن تظل في حالة استقرار ونظام لفترات زمنية طويلة.

الجدلية التاريخية: يجد علم الاجتماع نفسه مع خطاب الجدلية صحبة تقليد فلسفي غني تخترقه عدة تيارات **مثل:** الواقعية الأفلاطونية المثالية الهيغلية المادية الماركسية، وتعكس هذه التيارات بذات الوقت الالتباسات المميزة للخطاب الجدلي، كما تبرز جوهره المتمثل في التناقض، تشكل الجدلية في الأصل فنا خطابيا يسعى إلى أن يبلغ باللغة العادية درجة الكمال في استعمالاتها لغرض المحاججة،

وهكذا اعتبر نظام الأشياء مماثلا وخاضعاً بذات الوقت لنظام العقول، وقد أرسى التوجه الشمولي للجدلية مماثلة كاملة بين العام والخاص، وبين ما هو كلي وما هو جزئي، أي بين البعد المتجمعي الكلي والبعد المجتمعي الجزئي، وتعتبر إشكالية التغير الاجتماعي، السياسي بمثابة الحقل المفضل لدى الأنموذج الجدلي، وتقدم الظواهر التاريخية للصراعات والتعارضات،

[1] - حسام الدين فياض، **رؤية منظورات المدرسة التأويلية المعاصرة للإنسان والمجتمع**، مجلة أنفاس، 20جويلية 2023: 22:45.

والحركات الاجتماعية فرصة لتطبيق الأفكار الجدلية مثل التناقض والنفي، والنقد لكن الجدلية بصفتها صياغة عالمة، من العلم للخطاب العادي واجهت مفارقة تمثلت في الاستيلاء على أفكارها النقدية[1]

يتغذى علم الاجتماع الجدلي من تناقضاته الخاصة، فهو متنازع بين تصور منطق الذات باعتبارها فاعلا خاضعا لتأمل ذاتي تعمل في إطار غايات ترسمها لنفسها، وتصور منطق الموضوع باعتباره مستوى محددا لمجموع التناقضات الواقعية في صيرورتها، إن المنطق الجدلي باعتباره منطق الموضوع ينتصب كأنطولوجيا مادية يمكن، تحديدها باختصار في خمسة مبادئ

1 كل شيء ظاهرة أو قضية أو حدث له ضده.
2 كل شيء متناقض بمعنى له مكونات متعارضة (وحدة المتضادات).
3 ينتج التغير مهما كان عن الصراع الداخلي بين المتضادات.
4. يأخذ التقدم شكلا حلزونياً بحيث يحتوي كل مستوى على ما سبقه وينفيه.
5. كل تغير كمي يؤدي إلى تغير نوعي.[2]

أ- البناء والأيديولوجية:

يبدأ تحليل ماركس لبناء المجتمع بمسألة البقاء الإنساني الحاجة إلى إنتاج السلع، والاقتصاد هو ذلك المجال من مجالات المجتمع الذي يختص بإنتاج السلع، وقد أشار اريس إلى قوى الإنتاج ووسائل الإنتاج، والعلاقات الاجتماعية للإنتاج، ونمط الإنتاج، ماركس ويقصد بقوى الإنتاج جميع العوامل- بما فيها العوامل العلمية والتكنولوجية - التي تسهم في الإنتاج، وتتضمن قوى الإنتاج وسائل الإنتاج التي تعني الوسائل الملموسة للإنتاج مثل الأرض في المجتمعات الإقطاعية، والمصانع في المجتمعات الصناعية الرأسمالية، وتشير العلاقات الاجتماعية للإنتاج إلى الطريقة التي يتم بها تنظيم الإنتاج اجتماعياً[3].

2- النظرية الماركسية المحدثة

-1- تعريف الماركسية المحدثة: هي تلك النظرية والآراء التي ظهرت بعد الماركسية الكلاسيكية لغرض الحفاظ على الإرث الماركسي الذي بدأ في التلاشي نتيجة سقوط المعسكر الشرقي وفقدانه للعديد من الدويلات التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي هذا من جهة ، و من جهة أخرى، عدم تحقق تنبؤ كارل ماركس سقوط الرأسمالية التي سيحل محلها الاشتراكية ثم الشيوعية . بل أعقب ذلك انتشار سريع للرأسمالية في شتى أصقاع المعمورة ... و قد حافظت الماركسية المحدثة على مضمون الماركسية التقليدية مع تعديل طفيف في معنى الصراع الذي كان يقصد به ماركس انقلاب الطبقة الكادحة على أرباب العمل او اصحاب السلطة الذين يمتلكون وسائل الإنتاج من اجل ان تصبح هذه الوسائل ملكا لجميع الإفراد. أما الماركسيون المحدثون فيرون ان الصراع في طياته يحمل مضمون احترام للنظام و السلطة واعصار الصراع أداة للتغير والتحديث.

[1] - جاك هارمان، **خطابات علم الاجتماع في النظرية الاجتماعية**، تر: العياشي عنصر، دار المسيرة، الأردن، 2010، ص 43.
[2] - المرجع نفسه، ص 50.
[3] - مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سبق ذكره، ص 144.

2 - عوامل ظهور الماركسية المحدثة:

- تحديث أفكار الماركسية الكلاسيكية التصويرية التي اتحدث من الصراع مدخلا وظيفيا للعديد من الظواهر الاجتماعية والثقافية و الاقتصادية المتغيرة.

-ظهور عدد من العلماء الشبان الغربيين الذين انهروا بنظرية الصراع لكنهم إعتبروها أداة للغير و التحديث لا كما نظر إليها ماركس لأن الصراع في داخله يحمل احترام للنظام والسلطة مثل الانسجام.

-أراد أنصار الماركسية أن يقوم علم الاجتماع و بطور ذاته عن طريق دراسته لعناصر الصراع والتغير مركزين على التوفيق بين الماركسية التقليدية التي تركز على الصراع، والوظيفية المسائية التي تركز على التوازن السقي

- حرص أنصار الماركسية على تطبيق نظرية الصراع و نصيفها إلى اتجاهين هما:

- اتحاد ينظر إلى المجتمع على أنه نسق معياري ويركز على العوامل الاجتماعية.
- اتحاد طبيعي يسعى لتفسير الصراع بالاهتمام بالأسباب الاجتماعية والثقافية الكامة التي سببها يظهر الصراع بعض رواد الماركسية المحدثة[1].

[1]- المرجع نفسه، ص 150.

المحور الرابع: مفاهيم أساسية في علم الاجتماع

أولا: مفهوم المجتمع

المجتمع عبارة عن نسق اجتماعي متكاتف بذاته، ومستمر في البقاء بفعل قواه الخاصة، ويضم أعضاء ذو خصائص فيزيقية وثقافية، "فالمجتمع جماعة من الأفراد، وليس مجموعة من الأفكار المجردة، وقد وصفه أحد علماء الاجتماع بأنه أكبر جماعة ينتمي إليها الفرد، وهو متكاتف بذاته بمعنى أن له رصيداً من الإجراءات والوسائل الخاصة بالتعامل مع البيئة وإطالة وجوده إلى مالا نهاية. ويكاد يكون من المستحيل تعيين الحدود الدقيقة لمجتمع ما. والأصح أن تلك الحدود ترسم بطرق مختلفة لتحقيق أغراض مختلفة في كل مرة، حسب خصائص كل مجتمع، مثلا مجتمع الطلبة، مجتمع البطالين، المجمع العربي، المجتمع التقليدي، مجتمع المدمنين... [1]

يعني المجتمع أحياناً أن هناك نطاقاً اجتماعياً أو حقائق اجتماعية تنفصل نوعاً ما، أو بطريقة مختلفة، عن حقائق الأفراد. وهناك مستوى اجتماعي، كان أفضل من صاغه مقولات دوركهايم المتعلقة بكيفية وجود نطاق من الحقائق الاجتماعية، وأن أي مجموعة من الحقائق الاجتماعية يجب أن تفسر من خلال حقائق اجتماعية أخرى. ويعتبر المجتمع هنا أمراً واقعاً بحد ذاته من الحقائق الاجتماعية وعلاقاتها المتبادلة تمكن دراسة هذا المستوى القائم بحد ذاته علم الاجتماع من تطوير موضوع دراسي مميز وغير ملتبس.[2]

ثانيا: الجماعة الاجتماعية.

إن لمفهوم الجماعة تاريخاً طويلاً ومثيراً للجدل في علم الاجتماع. فعلى مستوى الاستعمال اليومي يُستخدم هذا المفهوم للتعبير عن أفكار التجربة والمصالح المشتركة. ولا تنقل المعاني الرائجة للمفهوم الفكرة التقليدية الخاصة بالموقع أو الجوار المشترك لمجموعة من الأشخاص فحسب، بل باتت تنقل كذلك أفكار التضامن والارتباط بين أناس يتشاركون في الخصائص أو الهويات الاجتماعية نفسها فعلى سبيل المثال، أصبحت فكرة جماعة السود أو جماعة الشواذ جنسياً شائعة في الخطاب الشعبي العام وعلى الرغم من ذلك، نجد أن فائدة مفهوم الجماعة بالنسبة إلى الأغراض التحليلية الخاصة بعلم الاجتماع باتت أكثر إثارة للجدل، وذهبت بعض الآراء المهمة إلى أن ثمة قلقاً حول مدى كفاية هذا المصطلح لبحث طبيعة انخراط الناس اجتماعياً مع بعضهم بعضاً، حيث ينظر إلى المصطلح من زوايا عدة باعتباره شديد العمومية[3].

ثالثا: العمليات الاجتماعية.

يقصد بالعمليات الاجتماعية، أنماط التفاعل المتكررة التي توجد عادة في الحياة الاجتماعية والأنماط الهامة المتكررة للسلوك الاجتماعي التي تميز التفاعلات بين الأفراد والجماعات، وجدير بالذكر أن العملية الاجتماعية تعتبر نموذجا للتفاعل الاجتماعي يمكن ملاحظته في حدود فترة زمنية محددة، ويمكن أن نسمى النموذج الذي يمكن ملاحظته في فترة محددة مصطلح

---

[1] - محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره، ص32.

[2] - جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، تر: عثمان محمد، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009، ص 335.

[3] - المرجع نفسه، ص155.

«بناء اجتماعي» حيث ينظر بعض الباحثين الى علم الاجتماع على أنه دراسة للعمليات الاجتماعية أي للتفاعل الاجتماعي، وهناك من العمليات ما توصف بالإيجابية وهناك السلبية، وهنا نوضحها كما يلي:

العمليات الإيجابية:

التعاون: هو محاولة منظمة من جانب بعض الأفراد للوصول الى هدف مشترك ، وهو عملية تجميع واتحاد، وبناء وتدعيم، نجده بيولوجيا فى الصراع من أجل البقاء كسبب لبقاء الكائنات العضوية، والتعاون عملية اجتماعية يرجع الفضل الى الأسرة أولا ثم الى البيئة الخارجية ثانيا في ترويض الأفراد عليها ، والتعاون ولو أنه عملية اجتماعية الا أنه يستجيب مع بعض الدوافع الفطرية الكامنة في الطبيعة الإنسانية[1].

التنشئة الاجتماعية: هي العملية التي تستهدف تأهيل الفرد للمشاركة في نشاط جماعة معينة عن طريق تعلم المعايير والأدوار التي تتوقعها الجماعة وتقرها، ويمكن أن نعتبر عملية التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة نظرا لأن الأدوار الخاصة بوضع اجتماعي معين لا تكتسب عادة دفعة واحدة بمجرد اكتساب الفرد لهذا الوضع، ولكنها تتعلم مرة ومرات على امتداد فترة شغل الإنسان لهذا الوضع، فالأب لا يحيط بدوره الجديد بمجرد ميلاد طفل له، و ولكنه يعرف جانبا منه وابنه رضيع، ثم وابنه في مرحلة ما قبل المدرسة[2]، ثم يتعدل هذا الدور وتتعين إضافة معلومات وخبرات إليه عند التحاق هذا الابن بالتعليم، ثم يدخل هذا الدور في مرحلة جديدة باستقلال الابن بعد العمل أو الزواج وهكذا، فاكتساب الدور وتعلمه يتم بشكل متصل.

- عملية التكيف: هي عملية توفيق تقوم على التحمل والتضحية من جانب الأفراد، فكل شخص يتدرب على قبول النظم والأوضاع الاجتماعية، ولو أدى ذلك الى تنازله عن جزء من مصالحه الخاصة، فالتكيف عملية أخذ ورد ودين بين أفراد الجماعة، وبذلك يحدث الانسجام والملاءمة بين الارادات الفردية المتصارعة، أو بين الهيئات والجماعات المتعارضة في مصالحها الطائفية أو المهنية، أو بين تقاليد قديمة وتقاليد مستحدثة[3].

التمثل: استعار علماء الاجتماع هذا الاصطلاح من علم البيولوجيا اذ أن «التمثيل الغذائي» في هذا العلم تعنى امتصاص الجسم العناصر الغذائية وتمثلها في أعضائه بحيث أصبحت من مكوناتها، وبنفس المعنى يستخدم هذا الاصطلاح في علم الاجتماع فهو يعبر عن عملية امتصاص وهضم الأفراد لعناصر ثقافية وحضارية ونظم اجتماعية دخيلة على تراث ثقافتهم الأصلية، بحيث تنصهر العناصر الجديدة وتمزج بالعناصر الثقافية الأصلية، وبذلك يتم تقبل الأفراد والجماعات لسمات ثقافية من جماعات أخرى نتيجة للاحتكاك والاتصال الاجتماعي بينهم، وتتم هذه العملية بصورة تدريجية تطويرية.[4]

وهي الظواهر الفكرية المشتركة التي ينظم من خلالها الناس حياتهم، وتشكل مكونات جوهرية من أي ثقافة. وقد طرح هذا المصطلح لأول مرة دوركهايم للإشارة إلى واحدة من الأنواع الرئيسة لـ الحقائق الاجتماعية التي يعنى بها علم الاجتماع: وهي

[1] - أحمد رأفت عبد الجواد، مرجع سبق ذكره، ص 91.

[2] - محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره، ص 40.

[3] - احمد رأفت عبد الجواد، مرجع سبق ذكره، ص 96.

[4] - المرجع نفسه، ص 97.

المعتقدات والأفكار والقيم والرموز والتوقعات التي تشكل طرق التفكير والشعور التي تتسم بالعمومية والديمومة ضمن مجتمع ما أو مجموعة اجتماعية ما والتي تتشاركها باعتبارها خصيصة جماعية لها[1].

العمليات السلبية:

الصراع: يكون عادة حول القيم، أو المكانة، أو القوة، أو الموارد المحدودة أو النادرة، ولا تقتصر أهداف الأطراف الداخلة فى علاقة الصراع على مجرد الفوز بامتياز معين وحسب، ولكنها تتعدى ذلك إلى الرغبة في إخضاع الخصوم.

وتحدث مثل هذه الصراعات بين أفراد أو بين جماعات أو بين أفراد وجماعات. وهي موجودة بشكل أساسي وهام في كل نسق اجتماعي على الإطلاق اللهم فيما عدا بعض الجماعات اليوتوبية المثالية والخيالية التي لا وجود لها في الواقع المحدودة النطاق التي تستهدف في المقام الأول تقليل الصراعات إلى أدنى حد[2].

التنافس: هو سباق للحصول على شيء لا يتعادل العرض فيه مع كثرة الطلب عليه فمثلا : تظهر المنافسة فى بعض المجتمعات التي تتميز بوفرة في عدد الأفراد القادرين على العمل، ولكن فرص العمل المتاحة بهذا المجتمع أقل كثيرا من أن تستوعب كل هؤلاء الأفراد فيها، والمنافسة موجودة في كل مجالات الحياة، فنجدها في مجالات العمل وتكسب القمة العيش ونجدها في مجالات الدراسة والدارسين، ونجدها تتعدى ذلك الى أشياء أقل أهمية كالحصول على القوة والنفوذ والمراكز والجاه والصداقة والشهرة والحب ، كما تتجه المنافسة الى أمور تتعلق بالألعاب الرياضية ، والتسلية ، والنشاط الاجتماعي .. الخ

- التدرج: التدرج هو طريقة ترتيب أعضاء نسق معين في تسلسل هرمي درجات أو مستويات فوق بعضها، تتفاوت مستوياته من حيث الهيبة، والثروة، والنفوذ وغير ذلك من خصائص المكانة، ويمكننا أن نرجع أغلب النظريات المعاصرة في التدرج أو التراتب) إما إلى كارل ماركس الذى يرى أن نظام التدرج في أي مجتمع يتحدد على أساس ملكية وسائل الإنتاج، أو إلى ماكس فيبر الذى يرى أن التدرج الاجتماعي يتوقف على أسس منفصلة كالثروة، والنفوذ السياسي وأسلوب الحياة والطبقات الاجتماعية التي تحدث عنها ماركس في كتابه رأس المال هي: ملاك الأرض، والرأسماليون[3] .

رابعا: الفرد والشخصية.

الشخصية هي مجموعة من الصفات البشرية الموروثة والمكتسبة من التفاعلات الاجتماعية المختلفة، وتشمل الصفات البدنية والصفات النفسية، ومجموعة العادات، والتقاليد، ومنظومة القيم التي تحكم الإنسان، وتفاعل كل تلك العوامل مع الناس الآخرين في المجتمع، وتعرف ايضاً على انها المجموع الكلي للأنماط السلوكية الظاهرة والباطنة الموجودة لدى الفرد[4].

قدم ميشيل وباندورا منظرا الشخصية اللذان تأثرا بالثورة المعرفية آراء وأكدت نظرية التعلم الاجتماعي المعرفي لميشيل على أهمية نسق الشخصية المعرفي الاجتماعي وما طرأ عليه من تطورات حديثة يبين التمايز بين المواقف، وجوانب تنظيم الذات المتصلة بوظائف الشخصية، وتناولت وحدات الشخصية التي تم التأكيد عليها كأساليب ترميز الاستراتيجيات،

[1] - جون سكوت، مرجع سبق ذكره، ص 122.

[2] - محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره، ص 41.

[3] - المرجع نفسه، ص44.

[4] - عزيز ملا هذال، **مفهوم الشخصية**، شبة النبأ المعلوماتية،2023/12/13، https://annabaa.org/arabic/psychology/33753

والأهداف والتوقعات، والكفاءات والمشاعر الوجدانية، وأنساق تنظيم الذات. وقد نظر إليها بوصفها مواقف تتسم بالنسبية أو مجالات نوعية[1].

خامسا: الفعل الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي.

يُشير «الفعل» على المستوى الابتدائي ببساطة إلى كل ما يمارسه البشر؛ أي إلى ما يفعلونه. أما على المستوى الأكثر تعقيداً، فلا يشير المصطلح إلى الأفراد وحسب، وإنما كذلك إلى ممارسات الفاعلين الجمعيين (Collective Actors)، أي أولئك الذين يتشاركون سمات معينة، مثل الأفراد المنتمين إلى طبقة أو فئة عمرية أو جنس معين أو غيرها من التصنيفات المجتمعية الأخرى مثل المتشردين أو العاطلين... إلخ. ويمكن تمييز الفاعلين الجماعيين، في المقابل، عما أسمته مارغريت آركر (Margaret Archer) في كتابها النظرية الاجتماعية الواقعية (Realist Social Theory) الفاعلين المتحدين (Agents Corporate)، وهم مجموعات الفاعلين الذين قاموا بتنظيم أنفسهم من أجل أهداف معينة في سبيل السعي إلى تحقيق مصالح استراتيجية، ويعلنون مصالحهم المشتركة، وينظمون أنفسهم من أجل القيام بالفعل الجماعي، ويمكنهم غالباً مطالبة صناع القرار بالإصغاء إلى مطالبهم. وبغض النظر عن الفئة التي ينتمون إليها، يمتلك هؤلاء[2].

سادسا: البناء والأنساق والنظم

البناء الاجتماعي: هو أحد المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، نظر إليه المنظرون دوماً باعتباره يؤكد أحد طرفي الثنائية بين البناء «والعمل»، والتي ينتظم حولها علم الاجتماع المعاصر، ووجد هذا المصطلح على يد كل من أوغست كونت وسبنسر ودوركهايم لوصف النمط المنظم للنشاط الاجتماعي. وأصبح الفكرة المنظمة المركزية للنظريات البنيوية الوظيفية التي شكلت الجانب الرئيس لعلم الاجتماع خلال القرن العشرين، وتطور باتجاهات جديدة على يد كتاب بنيويين. ومع نهاية القرن العشرين، تعدل المفهوم بصورة كبيرة على يد منظري ما بعد البنيوية الذين كرهوا فكرته الظاهرة بأن الحياة الاجتماعية تنتظم من خلال إطار عمل أحادي التنظيم وأكدوا بدلاً من ذلك السمة المتفرقة والهشة للعمليات البنيوية.

تشير كلمة «بناء» إلى فعل بناء شيء ما والمنتج النهائي لفعل البناء هذا. كما أشارت الكلمة في الأصل إلى بناء مادي فعلي والتوازن الداخلي للقوى المادية التي تمنحه تماسكاً. وانطلاقاً من هذا المعنى الجوهري شملت كلمة البناء مجموعة من الأجزاء المترابطة التي تكون الجسم العضوي البيولوجي وأعضاءه المختلفة، والتكوينات الصخرية للأرض، وترتيب الذرات في جزئيات. واستخدم رواد علم الاجتماع المصطلح بهذا المعنى للإشارة إلى المجتمعات باعتبارها وحدة تتكون داخلياً من مجموعات من الأفراد المكلفة بمهام أو أنشطة خاصة.[3]

- **النسق الاجتماعي:** هو التنظيم الاجتماعي الذي يحكم تصرفات الأفراد، بحيث يمارسون في نطاقه كل نواحي حياتهم المختلفة. فالعلاقات الخاصة بالإنتاج والتوزيع والاستهلاك تشكل النسق أو النظام الاقتصادي. ويعتبر "بارسونز" أول من استخدام مصطلح النسق الاجتماعي في الدراسات الاجتماعية استخداما واسعا، وذلك للإشارة إلى الظواهر الاجتماعية

[1] - لورانس أبرافين، علم الشخصية، تر: عبد الحليم محمود السيد ومحمد يحي الرخاوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص 241.

[2] - جون سكوت، مرجع سبق ذكره، ص 300.

[3] - المرجع نفسه ، مرجع سابق، ص 79.

باعتبارها وحدات يرتبط أجزاؤها بعضها ببعض. النسق الاجتماعي عند "بارسونز": هو شبكة من العلاقات بين الأفراد والجماعات فهو مجموعة من الفاعلين أفرادا، جماعات تنظيمات تنتظم بينها علاقات اجتماعية مستقرة، كما يعني النسق عند "بارسونز" المجتمع فهو عبارة عن نسق كلي يحتوي على مجموعة من الأنساق الفرعية[1].

- **النظم الاجتماعية:** يقصد علماء الاجتماع والانثروبولوجيا بمصطلح النظام كل أنماط العمل أو السلوك التي تصبح على درجة عالية من التقنين، مما يجعلها تحدث بطريقة منظمة ورتيبة، كما تتضمن مجموعة من القواعد والقيم والاتجاهات والرموز التي ترمي إلى تحقيق هدف معين على أساس أن كل نمط من أنماط السلوك له نوع محدد من الأهداف.

يتكون كل نسق من عدد من الأقسام الفرعية هي النظم الاجتماعية، فالنسق الاقتصادي يضم النظم الاجتماعية التي تشترك كلها في معالجة فئات معينة من الظواهر تدور حول النشاط الاقتصادي في المجتمع مثل نظام البيع والشراء، ونظام الاستثمار ونظام الأجور ونظام الإنتاج والنظام البنكي، أما العلاقات الخاصة بالزواج والأسرة والطلاق والميراث وتعدد الزوجات قسمى ينسق القرابة حيث نقول نظام الأسرة ونظام الطلاق أو نظام تعدد الزوجات، وكذلك بالنسبة للنسق السياسي والديني وغيره من النظم الاجتماعية وكل هذه الأنساق تؤلف البناء الاجتماعي. كما أن الظاهرة الواحدة يمكن أن تدخل في أكثر من نظام وهذا يعكس تداخل الظواهر وتكاملها، فلو أخذنا ظاهرة التربية نجد أنها من الظواهر التي تشترك فيها عدة نظم كالأسرة، والنظام الديني والنظام التربوي[2].

الرموز: هي مجموعة من الاشارات المصطنعة التي يستخدمها الناس فيما بينهم لتسهيل عملية التواصل، وهي سمة خاصة في الانسان، فعلى المستوى اللغوي يرى عالم اللسانيات السويسري فرديناند دي سوسير أن هناك خلطاءبين مفهومي الرمز والعالمة، فقد استخدم لفظ الرمز مرادفا للعالمة أو الدالة على ما يسمى بالدال، وفي هذا الإطار يرى سوسير أن لفظ الرمز لا يدرك دوما في اعتباطيته، فهو ليس فارغا بل فيه رابطة طبيعية بين الدال والمدلول.

في حين يعرّف الأنثروبولوجي الامريكي إرفين قوفمان الرموز الثقافية بأنها تعابير يستنبطها الانسان من حياته اليومية أو من أعضائه الجسمية وفيها رمزية وتمارس هذه الرموز ضغوطها على الفرد و تفاعلية بين المجموعات البشرية، وتحدّد اختياراته فالا يستطيع الانفصال عن بيئته بل يقبل كغيره العوامل المادية[3].

السمات: يعد جوردن ألبورت من أبرز المنظرين لنظرية السمات، وهو يعرف السمة بأنها الوحدة المناسبة لوصف الشخصية وهي صفة مميزة لسلوك الفرد ، بل إنها أكثر من ذلك، إنها استعداد أو قوة أو دافع الفرد يدفع سلوكه ويوجهه بطريقة معينة، فالشخص الذي يتسم بالكرم مثلاً يكون دائماً على استعداد للتصرف بكرم في الظروف والمواقف، وهو يبحث دائماً عن المواقف التي يتصرف فيها بكرم[4].

---

[1] - خالد حامد، مرجع سبق ذكره، ص 29.

[2] - المرجع نفسه، ص 29.

3 - محمد أحمد، الرمز والمعنى في الدراسات السوسيولوجية، جامعة قفصة-المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الانسانيات، https://alameed.alameedcenter.iq/uploads/3ee16bb9aecfd2660129b053b838c7b2.pdf

[4] - سعد يحيي، **نظرية السمات**، موقع دراسةللدراسات والترجمة، 2020/08/19، https://drasah.com/Description.aspx?id=3468.

سابعا: التغير الاجتماعي والتطور.

التغير الاجتماعي: تشير كلمة التغير إلى الاختلافات التي تحدث في أي شيء، والتي يمكن ملاحظتها خلال فترة من الزمن، أما التغير الاجتماعي، فهو كل تحول يقع في مجتمع من المجتمعات خلال فترة زمنية محددة، ويصيب الأنساق والنظم والظواهر والتنظيمات الاجتماعية، سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة، كما يشتمل أيضا على التغير في السلوك والأفكار والمعتقدات، ويحدث التغير الاجتماعي نتيجة تفاعل عنق ود من المتغيرات وليس نتيجة متغير واحد، ويتخذ التغير الاجتماعي صوراً وأشكالاً متعددة، منها: التطور الاجتماعي، التقدم الاجتماعي، الحراك الاجتماعي والحركة الاجتماعية[1].

يعد التغير أحد أبرز الخصائص الجوهرية للمجتمع، وهو ما يبرز لنا جلياً في العبارة المجازية الحياة الاجتماعية». فشأنها شأن الحياة نفسها، تتألف الحياة الاجتماعية من تغيرات مستمرة لا تتوقف وعليه فعندما تنتهي هذه التغيرات، فإن الحياة نفسها تنتهي. ومن ثم فإن أي محاولة للتمييز بين «استاتيكيات الحياة» و ديناميات الحياة» أو بين «تشريح» و «فسيولوجيا» المجتمع ستكون محاولة خادعة بلا شك. فإذا افترضنا، إلى جانب معظم المنظرين المعاصرين، بأن المكونات الرئيسة لأي مجتمع هي أفعال وأنشطة أفراده، فحينها لا يسعنا إلا أن نرى هذا المجتمع كياناً ديناميكياً، لأن هذه الأفعال والأنشطة بتعريفها نفسه تتضمن بعض التغير. وفي حين يتسم التغير بأنه واحد في كل المجتمعات، إلا أن سرعة ونطاق وعمق وإيقاع التغيرات تختلف من مجتمع إلى آخر، ويطالعنا التغير شاملاً وسريعاً وبارزاً في المجتمعات المتقدمة على الأخص.[2]

- **التطور الاجتماعي:** يقصد بالتطور التغير التدريجي الهادئ كما يدل التطور على الطريقة التي تتغير بها الأشياء من حال إلى أخرى ببطء ورقة، فالنبات يتطور من بذرة، والرجل يتطور من طفل، وهناك تطور كوني، وهو يدل على تطور العالم والأجرام السماوية من النشوء والارتقاء ثم الفناء، وهناك التطور العضوي أو النمو، وهو يشير إلى دورة الكائن الحي من الولادة إلى الترعرع والنضوج، ثم إلى الوفاة والفناء، وبجانب التطور العضوي هناك التطور العقلي وما يصحبه من نمو وارتقاء في التفكير والشعور والإدراك، ثم نضوجه واضمحلاله وفنائه.

كما يتسع مفهوم التطور الاجتماعي ليشمل عملية التغير التدريجي التي تقع في كل المجتمعات؛ وذلك مثل التطور الذي يصيب وظائف المجتمع أو أدوار الأفراد التي يعاد تحديدها. وهذا لا يتضمن بالضرورة مرور كل المجتمعات بمراحل واحدة، وقد يبدو أن هناك رغبة في قصر مصطلح التطور الاجتماعي على أنه عملية من عمليات التغير الاجتماعي، ويختلف التطور عن التطوير الذي يحدث بطريقة إرادية مقصودة لإحداث تغيرات هادفة لتطوير الحياة الاجتماعية في المجتمع ،

أما التقدم الاجتماعي يقصد بالتقدم الاجتماعي أن المجتمع يشهد في فترة زمنية معينة نوعاً من التغير نحو الأمام، وقد يكون هذا التقدم عام ا شاملاً في شتى مظاهر الحياة، فيعم كافة القطاعات والمرافق، ويشمل جميع الأجزاء والمحليات؛ فتشهد جميعها لونا من التقدم والرقي والنمو في الحياة الاقتصادية والمادية والسياسية والفكرية والاجتماعية والثقافية، وقد يكون جزئيا فلا يصيب إلا بعض الطبقات الاجتماعية، أو بعض مظاهر الحياة، ولا يشمل إلا بعض أجزاء المجتمع، في حين تظل الأخرى في حالة تخلف نسبي[3].

---

[1] - كمال التابعي وعلي مكاوي، علم الاجتماع العام، القاهرة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص 45-46.

[2] - جون سكوت، مرجع سبق ذكره، ص 96.

[3] - كمال التابعي وعلي مكاوي، مرجع سبق ذكره، ص 45-46.

يعتبر التطور الاجتماعي مفهوماً أكثر تعقيداً، إذ يشير إلى عملية اجتماعية لها ثلاث خصائص مجتمعة: فهو اتجاهي وداخلي ويحدث على مراحل يمكن تمييزها. وعليه، فإنه يحمل لنا تصوراً بالحالة النهائية للمجال الاجتماعي التي تتحرك العملية نحو تحقيقها. ومن بين الأمثلة على هذه الحالات النهائية المجتمع الإيجابي لكونت (Comte) والمجتمع الصناعي على نحو ما تصوره سبنسر (Spencer)، والمجتمع الشيوعي لماركس ودولة التضامن.[1]

ثامنا: مفهوم المركز والدور

المركز الاجتماعي: تعد جماعة المركز من المفاهيم التي لها علاقة بالدور، ويعني هذا المصطلح مجموعة الأشخاص الذين يشغلون نفس الوضع الاجتماعي داخل المجتمع بغض النظر عن التنظيمات أو الجماعات التي ينتسبون إليها، أي أنها تشمل أولئك الذين يشتركون في إحدى الخصائص الموضوعية، وبهذا المعنى فإنه يمكن أن نتحدث عن جماعات الأطباء وأصحاب الأعمال أو العزاب أو الأدباء ... على أن كلا منها تؤلف جماعة مركز معينة. وفي بعض الأحيان يستخدم مصطلح المركز الاجتماعي للدلالة على الموقع الكلي للإنسان داخل المجتمع، أي أن لكل شخص مركز اجتماعي، وهذا يعني أن هذا المصطلح يشير إلى كافة المراكز التي يحتلها الشخص داخل المجتمع وما يتمتع به من مكانة اجتماعية بسبب شغله لهذه المراكز أو بسبب خصائصه الشخصية.

وعلى الرغم من تداخل معاني الدور والمركز والوضع إلا أنها من المفاهيم الرئيسية في علم الاجتماع وذلك لعدم إمكانية الفصل بين مصطلحي الدور والمركز بمعنى أنه لا يمكن لنا مناقشة أحد هذين المفهومين دون التعرض للآخر، فالدور هو الوجه الديناميكي للمركز كما يشير إلى ذلك "رالف لينتون" بمعنى أنه الجانب السلوكي أو الذي يتعلق بالفعل الاجتماعي. وهذا ما جعل مصطلح الدور في علم الاجتماع يستخدم للدلالة على النماذج السلوكية التي يقوم بها شاغل مركز معين.[2]

-الدور الاجتماعي: يوجد الدور حين تحدد الجماعة الاجتماعية أعرافاً لا تسري سوى على فئات معينة من الأفراد. ويوحي ويخلق تمييزاً اجتماعياً بين الأفراد تبعاً للدور المتوقع ممارسته في حياة المجموعة. وأدرك المنظرون الاجتماعيون منذ زمن هذا التأثير للتوقعات الاجتماعية، وباستخدام مصطلحات من قبيل الشخصية والقناع والشخصية المسرحية، لاستكشاف إدماج الأنماط الثقافية في شخصية الفرد وإمكانية أن يكون الفرد فاعلاً في مهام معينة وبطريقة مقبولة اجتماعياً. على أن مصطلح «دور» لم يكتسب دلالته الحالية إلا منذ ثلاثينيات القرن العشرين حيث صار أساس هذا الاستكشاف[3].

ويمكن تعريف الأدوار بأنها منظومات إكراه معياري أو عربي يفترض بالممثلين الفاعلين أن يتقيدوا لها، ومنظومات حقوق متلازمة مع هذه الإكراهات أي أن الأدوار تعتبر أنظمة إلزامات معيارية، فإنه يفترض من الفاعلين أن يقوموا بها ويلتزموا بمتطلباتها، وفي المقابل فإنه يترتب عن أداء الدور حقوقا مرتبطة بتلك الالتزامات، وعليه فإن الدور يحدد منطقة من الواجبات والإكراهات متلازمة مع مجموعة من الجزاءات التي تتحدد حسب طبيعة الدور، وبما أن الإكراهات المعيارية المتصلة بالأدوار هي إكراهات معلومة نسبيا لدى. الممثلين الفاعلين المنتمين إلى التنظيم أو الجماعة، فإنها تولد لديهم ما يسمى بتوقعات

[1] - جون سكوت، مرجع سبق ذكره، ص 100.

[2] - خالد حامد، مرجع سبق ذكره، ص 54.

[3] - المرجع نفسه، ص 193.

ارتقابات الدور التي من شأنها الحد من ربية التفاعل التفاعل، فعندما يدخل الفاعل (أ) في تفاعل مع (ب) يرتقب كل منهما أن يتصرف الآخر ضمن الإطار المعياري الذي يحدده له دوره.

إننا نستطيع أن نوضح مفهوم الدور الاجتماعي بالدور المسرحي، إذ أن "ماكس فيبر" ومن بعده تالكوت بارسونز" يتحدثان غالبا عن الممثل (Action) ليعنيا به الفاعل الاجتماعي، فكل شخص عند أدائه لدور معين، فإنه يرتدي أو يتقمص شخصية اجتماعية ويتمثلها أثناء قيامه بمهمته، ويتخذ التصرفات والمواقف التي يتوقعها المجتمع منه، وذلك كشبكة من السيناريوهات على الطريقة المسرحية. ومع التسليم بأن كل ممثل حر في أداء دوره أداء شخصيا ولكن هذه الحرية تمارس ضمن الحدود المرتبطة بالدور ذاته وبكاتب المسرحية وبمجموع العمل المسرحي ككل، وهذا نظرا لتشابك وتساند وتكامل الأدوار، وكذلك الحال في الحياة الاجتماعية، حيث أن الدور يفرض نوعا من التصرفات ويضبط حدود الحرية في تأدية الأعمال، وهذا ما يؤدي إلى تساند الأدوار وتكاملها وترابط الجماعة.[1]

[1] - غي روشيه، **مدخل الى علم الاجتماع العام**، تر: دندشلي ط1، الموسسة العربية للنشر والدراسات، بيروت، ص57.

قائمة المراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم لطفي طلعت، **مبادئ علم الاجتماع**، دار المعرفة، القاهرة، دون تاريخ.
2. ابن خلدون عبد الرحمن. **المقدمة**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004.
3. بالمار نورمان، **تاريخ العالم الحديث**، ترجمة د. حسن علي ذنون، مكتبة دار المتنبي، بغداد، 1994.
4. بوتول غاستون، **تاريخ علم الاجتماع**، تر: غنيم عدون، مراجعة جلال حسن صادق، مصر: الدار القومية للطباعة والنشر، دون تاريخ.
5. بيومي محمد أحمد، **أسس وموضوعات علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2021.
6. التابعي كمال ومكاوي علي، **علم الاجتماع العام**، القاهرة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2008
7. توشار جان، **تاريخ الفكر السياسي**، ترجمة: علي مقلد، الدار العالمية، بيروت، 1981.
8. الجوهري محمد، **مدخل الى علم الاجتماع**، دار الثقافة للنشر والإشهار، القاهرة، 2007.
9. الجيلاني بن التوهامي مفتاح، **فلسفة الإنسان عند ابن خلدون**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011.
10. حامد خالد، مدخل الى علم الاجتماع، ط3 جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
11. الحصري ساطع، **دراسات عن مقدمة ابن خلدون**، دار المعارف، مصر، 1953.
12. حمداوي جميل، **جهود ماكس فيبر في السوسيولوجيا**، شبكة الألوكة، 2015.
13. الحوراني محمد عبد الكريم، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار مجدلاوي، الأردن، 2007.
14. خيري مجد الدين عمر، **علم الاجتماع-الموضوع والمنهج**، منشورات مجدلاوي، الأردن، 1997
15. روشيه غي، **مدخل الى علم الاجتماع العام**، تر: دندشلي ط1، الموسسة العربية للنشر والدراسات.
16. سكوت جون، **علم الاجتماع المفاهيم الأساسية**، تر: عثمان محمد، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.
17. عبد الباقي زيدان، **التفكير الاجتماعي- نشأته وتطوره**، مطبعة السعادة، القاهرة، 1981.
18. عبد الجواد مصطفى خلف، **قراءات معاصرة في علم الاجتماع**، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة.
19. عبد الجواد، أحمد رأفت، **مبادئ علم الاجتماع**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1983.
20. عبد الحميد عبد الجبار نبيل، **تاريخ الفكر الاجتماعي**، دار دجلة، العراق، 2009.
21. عبد المعطي عبد الباسط، **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**، عالم المعرفة، بيروت، 1981.
22. عبد الواحد علي وافي، **مقدمة ابن خلدون**، دار الشعب، القاهرة، 1950.

23. عواد محمد ، **كتاب تأملات ملخص مقدمة ابن خلدون** ، موقع الكتب ،https://foulabook.com/ar/book .

24. عودة محمودة، **أسس علم الاجتماع**، دار النهضة العربية، بيروت، (دون تاريخ).

25. غريب سيد أحمد، **علم الاجتماع ودراسة المجتمع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.

26. غيدنز أنتوني، **علم الاجتماع**، ترجمة: فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.

27. ف.جون رايت، **مبادئ علم الاجتماع**، ترجمة: شيا محمد، دار الحداثة للنشر والتوزيع، مصر، دون تاريخ.

28. فياض حسام الدين، **رؤية منظورات المدرسة التأويلية المعاصرة للإنسان والمجتمع**، مجلة أنفاس، 20جويلية 2023: 22:45.

29. فياض حسام الدين، **نظرية الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر**، مكتبة نحو علم اجتماع تنويري، د.م، 2018.

30. الكاشف علي بن عمر، **النظريات الاجتماعية-اتجاهات والمذاهب الكلاسيكية المعاصرة**، نادي علم الاجتماع (كتاب رقمي) www.socioclub.net.

31. كرابية أمينة، (**المجتمع البدوي ودوره في نشأة العصبية عند ابن خلدون-دراسة تحليلية نظرية للمقدمة)**، **أفاق فكرية**، المجلد 5، العدد 10، الجزائر: جامعة عبد الحميد ابن باديس، ماي 2019.

32. كريب إيان، **النظرية الاجتماعية ومن بارسونز الى هابرماس**. تر: محمد حسين غلوم ومحمد عصفور، عالم المعرفة– الكويت.

33. كعباش رابح، **الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع**، مخبر الاتصال جامعة قسنطينة، 2007.

34. محمد والي عبد الهادي، **المدخل الى علم الاجتماع**، مكتبة فلسطين، (د.م)، 2003.

35. هرمان جاك، **خطابات علم الاجتماع في النظرية الاجتماعية**، تر: العياشي عنصر، دار المسيرة، الأردن، 2010.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

1. Alain Caillé, **Pour une nouvelle sociologie classique**,Ed : Le Bord de L'eau, 2016.
2. Catherine Colliot-Thélène، **La sociologiede Max Weber**، Ed : La Decouverte، paris، 2006**.**
3. Delas Jean-Pierre et Milly Bruno، **Histoire des pensées sociologiques**، paris : Armand Colin، 2015.
4. Denis Collin, ***comprendre*** Marx, ed : Armand Colin, 2009.
5. Jean-Michel Berthelot, **La Construction de la sociologie**, ed : PUF- Que sais-je, (sd)
6. Joanne، Henri،. **Introduction à la Sociologie Générale**، Présenté par : Claude Javeau، Revue de l'institut de sociologie،p 345.https://journals.openedition.org/sociologies/2964 (22/12/2020).
7. José، Mariette، **Introduction a la sociologie**، Ed : le Manuscrit،:paris، 2005.
8. Philippe riutor, **Precis de lasociologie**,t 3, ed : PUF.2014.